

قافلة الزيت

صفحة ١٣٨٧

مايو - يونيو ١٩٦٧



مشاعل في الطريق

ويختلف اثنان في ان تحصيل المعارف والخبرات من جميع السبل وأهمها المطالعة والدراسة والأبحاث والحياة ، وصهرها في بوتقة العلم والثقافة هما من أنبل ما يمكن للفرد أن يقوم به . ولكن الأنبل من هذا كله ان ننقل هذا العلم الى غيرنا فيستفيدون مما نعرفه نحن ويزيدون عليه من أنفسهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . ولولا اتصال العلوم والمعارف والخبرات من جيل الى جيل ومن عصر الى عصر لكان علينا ان نبدأ دائما من النقطة التي بدأ منها آباؤنا ، ولما تمكنت الحضارة البشرية من السير قدما في سبل الرقي والتطور .

فأهم غاية من غايات العلم اذن هي التعليم ، فالفيلسوف يعلمنا كيف ننظر الى الكثير من أمور الحياة بطريقة يراها أفضل من غيرها ، والمخترع يعلمنا كيف يمكننا أن نستفيد من نظريات علمية معينة ، والرسام يعلمنا نواحي جمالية بطريقة يحس بها هو ، والصناعي يعلمنا كيف نصنع من قطعة من الخشب دولابا مثلاً وكيف نحول بعض الأسلاك والمحولات الى جهاز راдио

فكل فرد منا يمكنه أن يكون معلماً في الحقل الذي يعمل فيه ، بل على كل فرد عامل في المجتمع ان يكتب هذه الصفقة باكتساب المزيد من الخبرة والمعرفة والعلم ، واقادة غيره بعلمه ومعرفته . وترتيب المعلمين في درجات ما هو الا اتفاق بين بعض الأفراد اعترافاً منهم بفضل هؤلاء الرجال الذين أعطونا الشيء الكثير من أنفسهم وعقولهم فيسروا لنا طرق المعرفة وسبل الرقي والحضارة . ولا يعتبر مثل هذا الترتيب انتقاصاً من قيمة غيرهم من الاعلام الذين لم يدخل منهم عصر من العصور ويكفي أي فرد منهم فخراً أن يكون معلماً مجرد معلم .

عبدالله الريس

سأول بعض القراء عن مقال نشرته القافلة تحت عنوان « العقاد المعلم الثالث » بعد أرسطو والجاحظ ، فكتب أحدهم يقول ان المراجع التي لديه تؤكد بأن المعلم الثاني بعد أرسطو هو أبو نصر الفارابي وان الثالث هو محمد الباقر وذكر قارئ آخر انه بحث في مكتبته عن هذا الموضوع فوجد أن المعلم الثاني هو أبو نصر الفارابي الفيلسوف العربي المسلم الذي عاصر الدولة العباسية . وهذا طبعاً يؤدي ما جاء في كلام القارئ الأول . وتساءل قارئ ثالث عن كلمة معلم وما هي الصفات التي يجب أن يتميز بها المرء ليستحق مثل هذا اللقب .

ولسنا هنا في معرض نقاش في هذا الموضوع ولا في موضع مفاضلة بين معلم وآخر ، ولسنا بقادرين على مثل هذا لو أردناه . ولكن هذا الموضوع يثير أكثر من سؤال . فقد يتساءل أحدهم على ماذا بنى الأقدمون مثل هذه الأحكام فعينوا المعلمين في درجات ومراكز ، وكيف تسنى لهم ذلك وقد زخر تاريخ البشرية بأسماء الكثيرين ممن قدموا للعالم خدمات جل في ميادين العلم والثقافة ؟ وهل هذه الألقاب هي حقاً دليلنا في معرفة رجال الفكر ؟ المعلم هو كل من يعلم غيره فيعطيه من عقله ونفسه وعمره . وفي أبسط الحالات يجب أن تتوفر لدى المعلم الى جانب الضمير الحي ميزتان هما سعة المعرفة والاطلاع والمقدرة على افادة الغير من علمه . وتطلق هذه اللفظة على من يتخذ التعليم مهنة له كما تطلق على كل ذي خبرة وبران في مهنة من المهن . وطالما ان على المعلم أن يعلم غيره يمكن أن نقول ان المفكر لا يعتبر معلماً اذا بقيت أفكاره محصورة لديه لا يستنير بها غيره من أبناء مجتمعه ، والأديب لا يكون معلماً ما لم يسطر أبحاثه ودراساته وآراءه وينشرها لفائدة غيره

قافلة الزيت

العدد الثاني

المجلد الخامس عشر

مديرها ورئيس تحريرها
مؤلفها
المحرر المساعد

تصدر شهرياً عن
شركة الزيت العربية الأمريكية
لموظفي الشركة - توزيع مجتاًنا

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ - الظهران ، المملكة العربية السعودية

سبع سمات الشعر

للدكتور إبراهيم ابنس

البارع - كما أريد من الموسيقي الماهر - أن يفتح لي أبوابا من الحس والشعور ، ومن التفكير والخيال ، وما أشك في أن المتنبي قد وفق إلى هذا التوفيق كله في هذه الأبيات !

أنا لا ندعي أن الشعر مهما جاد يثير **فد** في كل الأذهان مثل هذا القدر من الصور والمعاني ، ولكنه في كل حال يحرك النفوس المستعدة لفهمه ، ويثير فيها قدرا من الأفكار والخواطر تفوق كثيرا ما يضمّنه الشعر من ألفاظ وعبارات .

وترتب على رغبة الشاعر في شحن ألفاظه بقدر كبير من المعاني ان كان للشعر نظام خاص في ترتيب تلك الألفاظ وهندستها ، يميزه عن المؤلف المعهود في نظام النثر . ولستأ نزع أن الشعر نظاما في ترتيب كلماته يباين كل المباني نظام النثر ، بل نقول أن الشاعر كالمطائر الطليق يخلق في سماء من الخيال ، وينشد الحرية في فنه ، فلا يسمح لقيود اللغة أن تلزمه جدا معينا لا يتعداه ، وهو لذلك يلتمس التخلص من تلك القيود كلما وجد إلى ذلك سبيلا . فهو في أثناء نظمه لا يكاد يعنى بتلك القيود اللغوية الا بقدر ما تخدم أغراضه الفنية ، ويقدر ما تعين على الفهم والايحاء . ولا غرابة أن نرى في ترتيب كلماته أمرا غير مألوف في ترتيب كلمات النثر . ولا يزال كذلك حتى يفد إليه أحد اللغويين فيدله عليه ، ويلفت نظره إليه . وهنا قد يشور الشاعر لقنه ، وتنشب تلك الخصومات التي روي لنا طرف منها بين الشعراء واللغويين من القدماء .

وبما يقرره المحدثون من اللغويين أن مخالفة النظام المؤلف في ترتيب الكلمات قد تقع أيضا في بعض الأساليب النثرية التي تشبه الشعر ، كبعض الخطب العنيفة الحماسية وفي الأسلوب

والاظتاب في المعاني عن طريق الايحاء من أهم أهداف الشعراء . ويكفي أن يحاول أحدها نثر أبيات لشاعر مجيد ، ليتضح له أن ما تتطلبه تلك الأبيات من عبارات نثرية تزيد كثيرا عما تتضمنه تلك الأبيات من ألفاظ ، وأن النثر مهما حاول الاقتصاد في جملة ، سيجد نفسه ينساق انسياقا إلى التعبير عما يوحيه الشعر من ظلال المعاني ، وما يثيره من الخواطر ، وإن لم يعبر الشعر عنها تعبيراً مباشراً .

دعنا هنا نقتبس شيئا مما أثارت أبيات ثلاثة من شعر المتنبي في ذهن الأديب الكبير الدكتور طه حسين في كتابه «مع المتنبي» .

بدأ المتنبي قصيدته بقوله :

ليالي بعد الظاعنين شكول

طوال وليل العاشقين طويل

يبن لي البدر السذي لا أريده

ويخفين بدرا ما إليه سبيل

وما عشت من بعد الأحبة سنوة

ولكنني للنائبات حمول
فستلهم أدينا الكبير من هذه الأبيات الثلاثة خواطر وأفكار دمجها في كتابه فملأت صفحات كثيرة منه ، ويختمها بقوله : «أحق أن هذا البدر الذي تخفيه الليالي على المتنبي هو صاحبه هذه التي يزعم أنها ظعنن عنه ، وإن الأسباب قد تقطعت به من دونها ؟ لم لا يكون هذا البدر رمزا لهذه الآمال النائية ، وهذه الهوم البعيدة التي تآقت إليها نفس الشاعر منذ أحس الحياة ، وقدر على النشاط ، والتي أنفق ما أنفق من حياته دون أن يبلغها أو يدنو منها ؟ » . ثم يقول :

« كل هذا أفهمه من هذه الأبيات الثلاثة الحزينة التي بدأ بها المتنبي قصيدته ، وما يعينني أن المتنبي قد أراد هذا أو لم يرده ، فأنا لا أطلب من الشاعر أن يفهمني ما أراد حقا وإنما أريد من الشاعر

سمات مهما قيل في شأنها ، **الشعر** ومهما تباينت آراء النقاد ودارسي الأدب في علاجها ، فقد أصبح معظمها الآن واضحا جليا للكثير منهم بحيث يسهل تحديدها على الدارسين له .

فللشعر مثلا نظام موسيقي هو أوزانه وقوافيه التي قد يدرسها اللغوي الحديث دراسة مؤسسة على القوانين الصوتية ، وكذلك من سمات الشعر أن الشاعر قد يؤثر من ألفاظ اللغة قدرا خاصا يطلق عليه عادة الألفاظ الشعرية ، وهي تلك الألفاظ التي يتبناها الشعراء . ويحرصون عليها أشد الحرص ، برغم اختلاف النقاد في تحديد هذه الألفاظ وصفاتها .

أما أدق السمات للشعر فجنوحه إلى الخيال والتصوير والرمز والايحاء . ويلجأ الشاعر في التعبير عن صوره وأخيلته إلى المجازات والاستعارات رغبة منه في تجلية تلك الصورة والأخيلة ، حتى تنفذ إلى القلوب فتحركها ، وإلى المشاعر فتثير مكنونها . والشاعر في رمزه وإيحائه يهدف إلى شحن الألفاظ بأكبر قدر من المعاني ، ذلك لأنه يستغل إلى أبعد حدود الإستغلال ظلال المعاني ، وما توحى به من ذكريات وتجارب ذات أثر قوي في النفوس .

ولعل الرشيد في قوله المأثور حين وصف البلاغة لم يكن يعني سوى الشعر ، إذ يقول فيما يرويه عنه المأمون «البلاغة التباعد من الاطالة ، والتقرب من البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى» .

فالإيجاز في اللفظ من أوضح سمات الشعر ،

الانفعالي العاطفي . ولذلك لا ندهش حين يوصف
تعبير وقع في النثر بأنه من تعابير الشعر . أو
مما يكثر استعماله في الأشعار ، كقول علي
ابن أبي طالب :

« أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة
أهواؤهم . كلامكم يوهي الصم الصلاب .
وفعلكم يطمع فيكم الأعداء » .
وكقول زياد بن أبيه :

« حرام عليّ الطعام والشراب حتى أسويها
بالأرض هدما واحرقا » .

ففي تعبير « زياد » تقدم المسند المنكر دون
اعتماد على نفي أو استفهام ، وهو ما لا نكاد
نلاحظه الا في شعر الشعراء كقول المتنبي :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا

وبكالك إن لم يجبر دمعك أو جرى
تلك هي السمة التي لم يفتن بها القدماء من
النحاة حين اعتمدوا في تفعيد القواعد على الشواهد
الشعرية ، اعتقاداً منهم أن رواية الشعر أدق
من رواية النثر ، وإن احتمال التغير والتبديل في
الشعر أقل من احتماله في المروي من النثر .
ولكن نحرجه من الاستشهاد بالمشور قد جعلهم
في بعض الأحيان يحكمون على الظاهرة اللغوية
الواحدة بتعدد الأوجه . ثم إن هذا الشعر الذي
اعتمدوا عليه لم يسعفهم في كل الحالات ،
وأمدتهم بظواهر وأساليب وقفوا منها مشدوهين
حائرين ، وسموها بالضرورات الشعرية .

فل المتأخرون من النحاة يتوارثون تلك
الشواهد الشعرية ، جيلاً بعد جيل ،
حتى وصل الأمر بها أن حلت بينهم على القداسة ،
يتوفرون على شرحها ، ويفردون لها المؤلفات
المستقلة . وقد خطرت فكرة الضرورة الشعرية
بأذهان النحاة الأولين حين وجدوا التباين بين نظام
النثر ونظام الشعر في بعض الحالات ، وفسروها
على أن النظم قد اضطرب اضطراباً لسلوك هذا
المسلك خضوعاً للوزن الشعري والقوافي الشعرية .

وبلغت عناية النحاة بتلك الضرورات الشعرية
أن حكموا على بعضها بأنها مباحة سائغة ، وعلى
البعض الآخر بأنها من الضرورات القبيحة التي
يجدر بنا أن نتحاشاها ! أي أنهم كانوا يتصورون
الشعراء مكبلين بقيود ثقيلة أثناء نظمهم ، وأنهم
لجأوا إلى تلك الضرورات على مضض منهم ،
ولم يتصوروا أن الشاعر يميل إلى الحرية ، ويحرص
على الخروج على المألوف ، مثله في هذا مثل
كل فنان لا يكاد يعبأ بقيود أو تقاليد كلما وجد
إلى ذلك سبيلاً .

ومن أمثلة الخلاف بين نظام النثر ونظام
الشعر ما أشار إليه النحاة أنفسهم حين
قرروا :

إن الأسلوب القرآني يلتزم التوكيد بعد « أمّا »
مثل قوله تعالى « فاما تَرَيْنَ » من البشر أحداً
فقولني اني نذرت للرحمن صوماً » ، ولكن الشعراء
لا يكادون يلتزمون هذا ، وقد خلا كثير من
الشعر من التوكيد بعد « أمّا » ، واستشهدوا على هذا
بقول الشاعر :

يا صاح أمّا تجدني غير ذي جدة
فما التخلي عن الخلان من شيمي
وان « عسى » تتطلب « أن » في خبرها ،
ولكن من الشعراء من يقول :

عسى الكرب الذي أميت فيه
يكون وراءه فرج قريب
وأن معمول خبر « أن » لا يتقدم عليه ،
ولكن الشاعر يقول :

فلا تلحني فيها فإن بحبها
أحأك مصاب القلب جمّ بلابله
ولم يكن هؤلاء النحاة يتصورون أن الشاعر
قد تراحم عليه الأفكار والخواطر فتزاحم لها
الألفاظ ويختلط بعضها ببعض ، فكأنما كان
كل منها يحاول أن يسبق أخاه ، وأدى هذا
إلى أن جاءنا الشاعر بنظام لغوي غير مألوف
في النثر .

أهل البلاغة من المتقدمين فلا نكاد
نلاحظ من كلامهم أنهم يفرقون بين
نظام النثر ونظام الشعر ، فيقول أبو هلال العسكري
مثلاً : « فتجد المنظوم مثل المنشور في سهولة
مطلعه ، وجودة مقطعه ، وحسن صنعه وتأليفه ،
وكمال صوغه وتركيبه » ! على أننا نجد بعض
التأخرين منهم « كالسبكي » يعلق على أقوال
البلاغيين بقوله : « ثم ذلك الضعف ربما كان
في النثر دون الشعر ، لأن ضرورة الشعر كما تجيز
ما ليس بجائر فقد تقوي ما هو ضعيف . فعلى
البياني أن يعتبر ذلك ، فربما كان الشيء
فصيحاً في الشعر غير فصيح في النثر » !

ومن كل ما تقدم نرى أنه ليس من المغالاة
أن يقال أن الشاعر يفرّ من كل ما هو مألوف
معهود ، ويخلق في سماء الخيال وقد سيطرت
عليه الصور والأخيلة سيطرة تامة ، فيسوق لنا
في شعره نظاماً غريباً . فهو لحرصه على موسيقاه
قد ينحرف عن النظام المألوف في النثر . وهو
لنزوعه إلى الحرية ككل فنان قد لا يعبأ بنظام
الكلمات على النحو المعهود في النثر . وهو لرغبته

في أن يحمل القليل من الألفاظ الكثير من
الأفكار والخواطر يتجه صوب الإيجاز والتخلص
من كل فضلات الكلام .

قمنا بجولة سريعة في ديوان المتنبي ،
وقفنا بعدها على نواح من الأساليب
ينفرد بها الشعر ، أو ينفرد بها شعر المتنبي
خاصة . منها موقفه من المفعول به الذي لا يكاد
في الكلام المنشور يتقدم على فاعله ، ففراه في
شعر المتنبي يسير وفق هوى الشاعر ووفق فنه
لا يلتزم مكاناً خاصاً في نظام الجملة الشعرية ،
فاستمع إليه يقول :

أمن ازديارك في الدجى الرقباء
إذ حيث كنت من الظلام ضياء
وقوله :

يهز الجيش حولك جانبيه
كما نفضت جناحيها العقاب
بل قد يقدم المفعول على ركني الجملة دون
الاعتماد على نفي أو استفهام ، وهو ما لا نكاد
نظفر له بمثل واحد في نثر الكلام ، مثل قوله :

بغيرك راعيا عبث الذئباب
وبغيرك صارما ثلم الضراب
كذلك موقفه من المسند المنكر الذي يقرر
النحاة أنه لا يصح أن يتقدم على المسند إليه إلا حين
يعتمد على نفي أو استفهام ، ولكن المتنبي
لا يعبأ بهذا ويقول :

وما أنا بالباغي على الحب رشوة
ضعيف هوى يعني عليه ثواب
وهكذا يخلق الشاعر في سمائه ، وينصرف
بكل نفسه وقلبه إلى صوره وأخيلته ، فلا يكاد
يحفل بترتيب الكلمات ترتيبها في المنشور ، فيفصل
بين ما يجب أن يوصل من أجزاء الجمل ،
ويقحم في ثنايا شعره من العبارات الاعترافية
ما يحفزنا على الغوص عن لآلئه ، فاستمع إلى
المتنبي في هذه الأبيات :

وان محالاً - إذ بك العيش - أن أرى
وجسمك معتل وجسمي صالح
برد حشائي - إن استطعت بلفظة

فلقد تضر - إذا تشاء - وتنفع
إن كان سرّكم ما قال حاسدنا
فما لجرح - إذا أرضاكم - ألم
بل بلغ الأمر بالمتنبي أن تراحمت عليه الأفكار
فاختل ترتيب الكلمات في ذلك البيت المشهور
الذي ينكره أهل البلاغة ، ويتندرون به وهو :

أنتى يكون أبا البرية آدم
وأبوك والقلان أنت محمد

الندوة الكيلانية الأدبية كانت... فبانت

فلم الأستاذ علي مافظ

لأن ندوة الأستاذ الأديب العربي الكبير كامل الكيلاني من أدمم الندوات الأدبية التي عرفها تاريخ الأدب العربي منذ قرون عديدة . وكانت تضم إلى الأدب العربي أدب بعض أمم أخرى ، وكان المستشرقون من كل جنس والظالمون إلى الأدب والعلم والمعرفة يرتادونها .

ورغم تواضع هذه الندوة في مكانها وأثاثها ، فإنها عملاقة في أثرها ونفعها وفيما كانت تحتضنه من أفكار وأشعار وآثار . وكان قطب الرحي فيها مؤسسها الفد الأستاذ كامل كيلاني رحمه الله ، الذي اعتاد أن يدعو إليها رجال الأدب والعلم وقادة الرأي والفكر والعلماء المستشرقين ، وكان عنده من المؤهلات الخلقية والعلمية والأدبية والفصاحة اللسانية ما يجب هذه الندوة إلى رجال الأدب والمعرفة الذين يتلاقون على صعيدها للمناقشة وتبادل الرأي .

وكان فارس الندوة رحمه الله يعقب على المتخلفين ، فيزور مريضهم ويرضي ساخطهم . ولم تكن الندوة تخلو من جدل أدبي واختلاف في الرأي قد يؤدي إلى سخط البعض ، بيد أن الأستاذ الكيلاني كان لا يتركه حتى يورده المورد العذب .

وكانت بيننا وبين الأستاذ الكيلاني أواصر صداقة قوى ورابطها صديق الطرفين الأستاذ سيد إبراهيم ، فكان رحمه الله عندما يعلم بوجودنا في القاهرة يتصل بنا هاتفيا ويزورنا ويدعونا دعوة عامة لحضور الندوة ما دمنا في مصر ، فترتاد ذلك المورد العذب ، وهو كثير الزحام .

تذكرت هذه الندوة ورجالها ومنهم ثلاثة من أصدقائنا ، هم الدكتور مختار عبد اللطيف ، والأستاذ محمد علي الحوماني رحمه الله ، والأستاذ سيد إبراهيم .

تذكرتها عندما أخذت من الدواوين الشعرية التي في مكتبتي ديوان (الزروميات) للمعري لأقرأ شيئا من شعره الذي التزم فيه ما لا يلزم ، وقد وقع ناظري على قصيدة منها هذه الأبيات :

لعمري لخير الذخر في كل شدة

الاهك ترجو فضله وإلاه

وان نلت من دنياك للجسم نعمة

من العيش فاذا ذكر دفنه وبلاه

مق يصرم الخل المسمي فلا ترع

فافضل من وصل اللثيم قللاه

ولقد تعرضت الندوة الكيلانية في ليلة ما لأبي العلاء بالنقد في اظهار المحاسن والمعائب في آن واحد ، وترغم الدفاع عن أبي العلاء الأستاذان الكيلاني وسيد إبراهيم ، وهما من أعلم أدباء العربية بأبي العلاء . فقد شبا على دراسته وحفظا الكثير من أشعاره وكلامه . حتى طه حسين صاحب (ذكرى أبي العلاء) و (تجديد ذكرى أبي العلاء) ما اعتقد انه درس أبا العلاء كما درسه . فقد بلغ من حبهما له وتبع حياته وآثاره انهما كانا يحسان كأنما يعيشان معه ، فلا تفوتهما شاردة ولا واردة من حياة أبي العلاء لا يعرفانها . وبلغ من حبهما له أيضا ان تأولا كل ما جاء في ديوانه مما يعتبر زيفا ، حتى اذا واجههما أحد بما لا مجال للشك أو التأويل فيه يقولان انه رجع عن هذا الرأي ويقيمنا ألف دليل ودليل على كلامهما .

انتهى النقاش وتحقق النصر لفارسي الندوة تلك الليلة الاستاذين الكيلاني وسيد إبراهيم ، قال الكيلاني - وقد أراد أن يروح على المتدينين - من يعرف الذي يعمل بغير يده ويستطيع بغيره ويقدر بسواه ؟ فقال كل واحد ما خطر له ولم يتوصلوا إلى حل لغزه ولا إلى كشف النقاب عما رمز إليه .

فقال الكيلاني رحمه الله : انه أبو العلاء وان هذا المعنى ورد في رسالة الغفران ، وان جاء فيها (انه رجل مستطيع بغيره) لأنه ما كان يقدر على التحرير والقراءة والمراجعة الا بتلامذته الذين لازموه ملازمة ظله وأخلصوا له اخلاص الأمين لمؤتمنه والولد لوالده . فأكد الأستاذ سيد إبراهيم ذلك . ولم أرجع أنا للرسالة فان كلام هذين الفارسين حجة .

وخرجنا من الندوة ونحن أربعة : الأستاذ الحوماني ، والأستاذ سيد إبراهيم ، وأنا ، وأخي عثمان حافظ . وكنت معجبا ببيت من الشعر لأحد شعراء المدينة المنورة المعاصرين وهو :

أشكو اليك عيالا لست أحصرهم

الا بتثيت عداد علي الباب

وأثيت على هذه الصورة التي صورها الشاعر في هذا البيت ، وسألت الأستاذين رأيهما في البيت ، فقال الأستاذ سيد إبراهيم ان جريرا قد سبق إلى هذا المعنى بقوله :

ماذا ترى في عيال قد بليت بهم

لم أبلى عدتهم الا بعداد

كانوا ثمانين أو زائدا ثمانية
لولا رجائك قد قتلت أولادي

فشاعرنا المعاصر المدني يقصد بالعداد عداد
الكهرباء ، أما جرير فانه يقصد عدادا من
الناس يستعين به على تعداد عياله . وحقا ان
جريرا سبق الى المعنى ، فهل أخذ شاعرنا المعنى
من جرير أم هو توارد خواطر ؟ على ان شاعرنا
جدد الآلة الحديثة واستخدمها لا كمال الصورة .
وكنا على أهبة السفر واشتقنا للمدينة المنورة
وأفصينا بأشواقنا ، فقال الأستاذ الحوماني : ان من
أحسن ما نظم في الحنين للأوطان قول ابن الرومي :

ولي وطن آليت ألا أبعه
وألا أرى غيري له الدهر مالكا
وجب أوطان الرجال اليهم

مآرب قضاهم الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
عهود الصبا فيها فحنوا لذلك
وقال الأستاذ سيد ابراهيم ان للبهاء زهير أبياتا
في الحنين للأوطان جميلة وأنشد :

سقى واديا بين العريش وبرقة
من المزن هطال الشايب هتان
وحيا النسيم الرطب عني اذا سرى
هنالك أوطانا اذا قيل أوطان
بلاد متى ما جتها جنت جنة
لعينك منها كل ما شئت رضوان
تخليل لي الأشواق ان ترابها

وحصاءها مسك يفوح وعقيان
وقال الأستاذ الحوماني - وقد خرجنا من
الندوة مشاة - هيا معي الى العتبة لأركب
« الأوتوبس » أو الى « مسيرو » لأركب المترو
لمصر الجديدة ، حيث كان يسكن رحمه الله .
فانطلقنا في جو شاعري رقيق ، وقرأ لنا
الأستاذ الحوماني - ونحن نسير - أبياتا في
مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من ديوانه
« أنت أنت » .

أحد الأصدقاء يريد أن يتزوج مصرية
على زوجته وأم أولاده ، وكانت له
شروط في الزوجة الجديدة وهي أن تتقل الى
الحجاز وتسكن مع زوجته الأولى وأم عياله ،
وأوصانا أن نساعد . ولا أدري كيف بدأت
القصة ، فقال الأستاذ سيد ابراهيم انصحوه بأن
يسكن الى زوجته وأم أولاده ولا يفتح على نفسه
أبوابا لا يستطيع سد باب منها .

وأخذ الأستاذ الحوماني يحدثنا عن تجاربه في
الزواج ، كما أخذ الأستاذ سيد يشدنا مسن
روائع شعره ومحفوظاته ، كلما انتهى من
مقطوعة أردفها بمقطوعة أخرى حتى وصلنا أول
شارع « مسيرو » من جهة كوبري قصر النيل ،
فمشينا على كورنيش النيل واحتلنا مقعدا حجريا
ننتظر قطار المترو ، فأندس الأستاذ سيد ابراهيم
هذه الأبيات لابن خروف الاندلسي :

ما أجمل النيل .. ما أبهى شمائله
في ضفتيه من الأشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع
تسير فيه مسير الروح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا

وانما هي أرزاق وأرباح
والفت الأستاذ سيد ابراهيم الى أخي عثمان
فوجده قد نام وهو جالس . وقمنا لادراك المترو
وتوديع الأستاذ الحوماني ، وبينما كنا في الطريق
الى المحطة أنشد الأستاذ سيد أبياتا نظمها في
أخي عثمان لما رأى من كثرة نموه متى احتاج
اليه في أي مكان وزمان :

عثمان خل وفي قد سما خلقا
وفاق كل كريم الطبع وضاح
وان تعجبت من أمر تصادفه
فاعجب لعثمان فهو النائم الصاحي
ينام في كل وقت ليس يعجزه

أن يصنع النوم في ليل واصباح
هذه خصلة - بفتح الخاء - في
الأستاذ عبد القدوس الانصاري
نعرفها فيه منذ كان في المدينة المنورة ،
فقد كان يصنع النوم متى شاء واحتاج .
وكنا نسمي ليلاً أو نقبل نهارا وتنهمك الشلة
في حديث أو أي شيء آخر ، وإذا بنا
نرى الأستاذ عبد القدوس قد نام . ونعرف
طبيعته هذه ، فتركه حتى يأتي الشاي فيشربه
وينام ، كأنما يحمل النوم في جيبه . وليت
الأستاذ سيد ابراهيم ضم الأستاذ عبد القدوس الى
أخي عثمان في هذه الأبيات ، فهو له زميل ..
يجيد النوم ويجيد صنعه .

وانتهى انشاد هذه الأبيات ونحن عند عربة
المترو حيث ودعنا الأستاذ الحوماني وعدنا في
الجو نفسه الى بيوتنا ، وكانت متجاوزة .
وكذلك كنا نحضر ندوة أدبية أخرى اسمها
« ندوة الأصفاء » أسسها الأستاذ الحوماني

رحمه الله ، ومن أعضائها الأباتذة طاهر
الطناحي ، ومحمد المدني ، وفهمي هاشم ،
والصديق السيد أمين مدني ، ويحضرها الأستاذان
سيد ابراهيم والسيد عبيد مدني وغيرهم من رجال
العلم والأدب .

وهكذا كان الجو هناك يفيض بالبشر والسرور
وبالأدب بكل معانيه .. وهكذا كانت الندوات
الأدبية قبل عدد من السنين .

أن أختتم هذا المقال الذي كتبه
بقافلة الزيت الغراء ظفرت بلقاء مع
شاعرنا الصديق الأستاذ فؤاد شاعر في دار
شركة المدينة للطباعة والنشر ، وقضينا أمسية
استعرضنا فيها ألوانا من الذكريات الأدبية
والصحفية ، وجرنا الحديث الى بيتين للأستاذ
فؤاد شاعر كان قد مدح بهما الراحل الدكتور
مختار عبد اللطيف ، وكنت أقرأها في لوحة
في عيادته في ميدان الأزهار بعمارة « باناجه » .
قلت له : اني شطرت أبياتك ، فقال :

اسمعنيها مع التشطير .
فلجأت الى المفكرة ، لأن حافظتي ليس لها
من اسمي نصيب ، وقرأتها مع التشطير وهي :
كأنما يد موسى وهي مشرقة
فيها من الفن والاعجاز أسرار
تبدو لناظرها كالشمس ساطعة
بيضاء يمسك اشراق وأنوار
فان بك اسمك مختارا فلا عجب
هيات يبلغ ما قد نلت ثرائر
وان سموت على الاقران في خلق

فأنت في عبقرية الطب مختار
والصديق الدكتور مختار عبد اللطيف طبيب
أسنان ماهر ، وأديب يتذوق الشعر والنثر الجيد ،
ويحفظ الكثير من شعر الأدباء القدامى
 والمعاصرين ونثرهم ، وينشد الشعر بفصاحة وحسن
إلقاء ، ويعلق عليه ، ويشرح وينقد ويستحضر
ما كان منه في المدح والثناء والغزل والاحسانيات ،
وفي أبواب الشعر الأخرى في مناسباته .

وكان هو والأستاذ الكيلاني والأستاذ سيد
ابراهيم يتحدثون لنا عن ندواتهم الأدبية في
دار أمير الشعراء أحمد شوقي وفي دار
أحمد زكي .

كذلك كانت حياة أولئك الأدباء قبل أن
يعني الزمان على تلك المعالم التي أصبحت تاريخا
من التاريخ .

مجد الأدب

للشاعر ضياء الدين رجب

أدب المجد ومجد الأدب	خير أثواب الخلود القشب
فالعمالي في ذراها شهب	والإطارات رداء الشهب
والمعاني البيض يعروها البلى	حينما تأوي لجحر خرب
رب سر غامض قد صانه	في الجمال الحر نسج الذهب
وثمار من جنا الفكر ذوت	في أكف باديات العطب
مثل ما تهوي صروح رقعت	في بناء عالم مضطرب

* * * *

دوحة العرفان مجد باذخ	ضوؤها الحرف كظل الكوكب
والبطولات وامجاد النهى	والخيالات وراء السحب
والثقافات وساحات الوغى	وهوى الفن وذنبا الطرب
كلها من مزنة الحرف ارتوت	فتلاقت كلقاء النسب
في دم حر كما تهوى العلا	طيب العرق وشيح القرب
ليس يدري السر إلا حاذق	يفصل الدر عن المخشلب (١)

شبكة المواصلات في

ميدان الصناعة قيمت ما لديها من مواد خام وقامت على ضوئها بانشاء المصانع التي تروج ان يكتب لها النجاح، مثل صناعة تكرير البترول، وصناعة الحديد الصلب، وصناعة المواد البتروكيماوية، وغير ذلك من الصناعات الحيوية.

وفي ميدان الزراعة، أقامت مشاريع عديدة، شملت استصلاح أراض جديدة، وتأمين مزيد من الموارد المائية، وتطوير المناطق الزراعية القائمة، وزيادة الثروة الحيوانية وتحسين نسلها.

على الأهلين امر الاتصال والتفاهم وتبادل السلع والمنتجات الزراعية والصناعية، ويسهل على الدولة امر التعاون الاقتصادي والتبادل التجاري مع مختلف الدول النائية والمتاخمة.

على هذه الأسس، وبهذا التفكير السليم أرست المملكة العربية السعودية دعائم نهضتها، وانطلقت تبني لها بخطى ثابتة راسخة، وتتخطيط هندسي سليم. فاستطاعت في غضون سنوات قليلة ان تبلغ شأوا كبيرا في مضمار الرقي. ففي

لقد توفرت لبلد ما مقومات النهضة والانطلاق، من أيد عاملة مخلصة نشيطة، وإمكانات مادية، وطاقات فكرية أصبح من اليسر عليه، ان يخطط تخطيطا سليما لنهضته في مختلف الحقول والميادين. ولكن لا يكتب لنهضة اي بلد النجاح التام، ما لم يولي المواصلات اهمية كبيرة، فيشق الطرقات البرية، ويعزز الموانئ البحرية والجوية، ويؤمن المواصلات السلكية واللاسلكية، فيسر



«بسم الله الرحمن الرحيم وبعد الانكسار على الله الذي نسأله العون والسداد افتتح هذا الخط وأرجو ان يكون فيه كل الخير والسعادة لأبناء هذا الشعب انه على كل شيء قدير» بهذه العبارة افتتح جلالة الفيصل المعظم طريق الرياض - الطائف، الذي يبلغ طوله ٩٠٠ كيلومتر.

المملكة العربية السعودية

وأولت التعليم عناية خاصة ، فأنشأت عشرات المدارس في القرى والمدن ، وأقامت الجامعات والكليات والمعاهد ، ولا سيما المعاهد المهنية والصناعية التي تؤمن للبلاد الفنيين الأكفاء الذين يعول عليهم في مختلف ميادين الصناعة والانتاج . ولم يفتها ما للمواصلات الجوية والبحرية والبرية والهاتفية والبريدية واللاسلكية من أهمية في تحقيق الازدهار الاقتصادي والتطور الاجتماعي ووصل المدن بعضها ببعض ، وربط القرى النائية بالمدن الكبيرة واخراجها من عزلتها الطبيعية . لذلك رصدت مبالغ ضخمة لتطوير المواصلات في هذا البلد وتنشيطها وجعلها تتمشى قُدما مع النهضة الناشطة في الميادين الأخرى . ففي حقل المواصلات الجوية أصبح لدى المؤسسة العامة للخطوط الجوية العربية السعودية اسطول كبير من الطائرات يربط بين مختلف انحاء المملكة ويؤمن الانتقال السريع بين المملكة ومعظم دول العالم . ويشمل هذا الأسطول طائرتين نفاثتين من طراز بوينغ ٧٢٠ ب وسبعا وعشرين طائرة من ذوات المحركات ، بالإضافة الى ثلاث أخرى من طراز دوغلاس دي سي ٩ تم شراؤها مؤخرًا .

أما في حقل النقل البحري ، فتقوم الدولة بإنشاء موانئ بحرية جديدة ، وتوسعة الموانئ القائمة ، وتطويرها ، ليصبح بمستطاعها استقبال البواخر الضخمة التي تزداد احجامها يوما بعد يوم .



استخدم في شق الطريق حوالي ٣٩٨ آلة ضخمة بين كسارات وجرافات وخلاطات اسفلت وغيرها . وتعاون على اتجاذه اربع شركات مقاولات



روعي في تصميم الطريق أن تكون المنعطقات عريضة .



تتولى الطريق كاحية بين الوهاد والجبال .



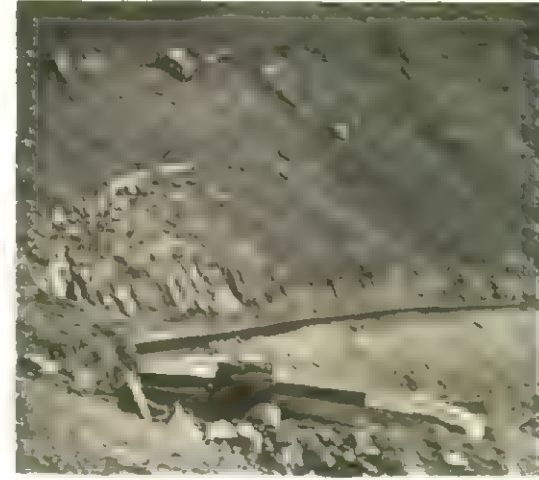
تضمنت الطريق عددا من الجسور الضخمة .



أقامت جمعية الهلال الأحمر السعودي مستوصفات اسعاف في نقاط معينة من الطريق .

ومن بين المرافق الرئيسية التي أصابها نصيب وافر من التطور والتحسين مرافق البريد والتلغراف والهاتف ، فبالإضافة الى تنظيم مراكز البريد ، جرى تطوير محطات الاتصال التلغرافي وجعلها في عداد محطات الاتصال العالمية ، إذ أصبح عدد المبرقات الطابعة فيها ٣٠ آلة ، تتصل بعدد كبير من الدول الخارجية . وهناك مشروع ضخم في طريق التنفيذ ، لإبدال الهاتف العادي بهاتف آلي في المدن الكبرى من المملكة .

وإذا انشينا الى المواصلات البرية ، وهي صفوة حديثنا في هذا المقال ، نجد ان الوزارة قد اولتها كبير عنايتها ، وجعلت لها مخططا كبيرا يتوقع



أقيمت حواجز واقية في الملفات الخطرة من الطريق .

معظم أجزائه يخضع للنظام المتبع دوليا للطرق ذات الاتجاهين . وقد روعي في تصميم منعطفات هذا الطريق ان تكون كبيرة القطر توخيا للسلامة في القيادة . ولعل أكثر ما يبين أهمية هذا الطريق احصاءات حركة المرور التي أجرتها وزارة المواصلات . ففي عام ١٣٨٤ هـ بلغ معدل عدد السيارات التي كانت تمر فيه ٦٣ سيارة يوميا ، في حين كان الطريق لا يزال وعرا . وفي شهري رجب وشعبان عام ١٣٨٥ هـ أجريت احصاءات أخرى فبلغ عدد السيارات التي كانت تمر فيه ٦٧ سيارة يوميا ، وفي عام ١٣٨٦ هـ وقبل انتهاء الطريق كليا أجريت احصاءات على بعد ٥ كيلومترات من عفيف ، فتبين أن معدل عدد

كيلومترا ، فيكون مجموع الطرقات التي تم تنفيذها ضمن البرنامج ١١٧٦ كيلومترا بلغت تكاليفها ٢٠٩٦٩٥٨٢٠ ريالاً سعودياً . وتحقق مؤخر الحلم الذي راود سكان المملكة . وهو ربط كبريات المدن ببعضها البعض ، وجعل البحر الأحمر في الغرب يصافح الخليج العربي في الشرق بطرق معبدة طولها ١٥٣٧ كيلومترا . وقد بلغ مجمل تكاليفها من جدة عبر مكة المكرمة ، فالطائف ، فالحوية ، فظلم ، فعفيف ، فبئر صقرا ، فالودامي ، فمرات ، فالرياض حتى تصل الى الدمام ، نحو ٣٢٣٩٦١٣٠٩ ريالاً سعودياً . أما عرض الطريق فيختلف بين منطقة وأخرى ، الا انه في

بتمامه أن يصبح لدى المملكة شبكة طرق برية تربط مختلف انحاءها بعضها ببعض . ويمكن تقسيم هذا المخطط الذي يحمل اسم «برنامج الطرق الرئيسي» ، حسب ما تم انجازه ، الى أربعة أقسام هي : طرق منجزة ، وطرق قيد التنفيذ ، وطرق رهن التصميم ، وطرق تحت الدراسة .

يبلغ مجموع أطوال الطرق المعبدة في المملكة حالياً ٤٠٤٤ كيلومترا ، كان تاما منها قبل الشروع بتنفيذ برنامج الطرق الرئيسي ٢٨٦٨

السيارات التي تمر يوميا ٢٩٤ سيارة أي أربعة أضعاف العدد السابق ونيف .

وقد جرى افتتاح هذا الطريق رسميا مساء يوم الأربعاء ٢٠ ذي القعدة ١٣٨٦ ، أول مارس ١٩٦٧ ، حيث قام بقص الشريط جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز المعظم في حفل كبير أقيم بهذه المناسبة ، وألقيت فيه الكلمات ، كانت أولاها كلمة لمعالي وزير المواصلات الشيخ محمد عمر توفيق ، وكان مسك الختام كلمة موجهة من جلالة القيصم المعظم .

بتصميمها «شركة ساوتي» ، وطريق عقلة الصقور - حائل وطولها ٢٥٢ كيلومترا وتصممها شركة «ويلسن مور» ، وطريق صبوخ - بريدة ٤١٠ كيلومترات وتصممها «ساوتي» أيضا ، والقسم الثاني من طريق جدة - المدينة وطوله ٦٧ كيلومترا وتصممها شركة «واجنر» ، وطريق سكاكا - صبية وطولها ٢٣٨ كيلومترا وتصممها «ساوتي» أيضا . وحال الانتهاء من التصميم سيعمد الى وضع هذه الطرقات قيد التنفيذ لتغدو فيما بعد طرقا معبدة ضمن شبكة الطرق الواسعة الأطراف .

طرق تحت الدراسة

وبالإضافة الى مشاريع طرق قيد الانجاز والتخطيط يقوم مهندسو الوزارة ، في الوقت نفسه ، بدراسة مشاريع جديدة من شأنها تعميم شبكة الاتصال البري في مختلف أرجاء المملكة ، وهكذا يجري المسؤولون دراسة على طريق طريف - القريات - الحدود الأردنية البالغ طولها ١٦٧ كيلومترا ، والتي تقدر تكاليفها بحوالي (٤٢٠٠٠٠٠٠) ريال سعودي ، وطريق طريف - الحدود الكويتية البالغ امتدادها ٤٠ كيلومترا والمقدرة تكاليفها بحوالي (٨٠٠٠٠٠٠) ريال سعودي ، وطريق الرياض - القويعة - ظلم البالغ طولها ٥٠٠ كيلومتر والمقدرة تكاليفها بحوالي (١٠٠٠٠٠٠٠٠) ريال سعودي .

يتبين مما تقدم أن أطوال الطرقات البرية التي يشملها برنامج الطرق الرئيسي الذي يتوقع انتهاءه في غضون ثلاث سنوات ٩٠٠٣ كيلومترات مضافا اليها الطرق التي كانت قائمة قبل البرنامج فيصبح لدى المملكة مجرد انتهاء هذا البرنامج شبكة طرق برية يبلغ مجموع أطوالها ١١٨٧١ كيلومترا .

برنامج المواصلات

علاوة على ذلك ، لدى وزارة المواصلات برنامج للطرق الفرعية أطلق عليه اسم «برنامج المواصلات» . ويشمل هذا البرنامج ايصال طرقات

طرق قيد التنفيذ

إن ما تم انجازه حتى الآن يشكل جزءا ضئيلا من مجموع أطوال الطرق التي يجري شقها وتعبيدها تسهيلا للانتقال وحركة المرور . فهناك ما مجموعه ٥٥٥٢ كيلومترا من الطرقات يجري العمل حاليا على انجازها وجعلها كما قال الشاعر «تحمل السالكين وهي ذلول» ، ويقدر مجمل تكاليفها بحوالي ١٤٠١١٨٠٣٧ ريالاً سعودياً . من أهم هذه الطرقات طريق القيصومة - طريف وطولها ٨١٨ كيلومترا ، وطريق المدينة - خيبر وطولها ١٦٦ كيلومترا ، وطريق الطائف - جيزان وطولها ٧١٧ كيلومترا ، وطريق المدينة - الحدود الأردنية وطولها ٢٥٥ كيلومترا ، وطريق الرياض - خريص وطولها ١٠٥ كيلومترات ، وطريق القيصومة - النعيرية وطولها ٢٥١ كيلومترا . وطريق الدلم - وادي النواصر وطولها ٥٥٧ كيلومترا ، وغيرها من الطرق الرئيسية والفرعية البالغ عددها عدها ٢٨ طريقا .

طرقات قيد التصميم

واذا تحولنا عن المشاريع التي هي قيد التنفيذ ، وتبيننا مشاريع الطرق التي تقوم بتصميمها الشركات الاستشارية وجدنا أن مجموع أطوالها يبلغ ١٥٦٧ كيلومترا ومجمل تكاليفها التقديرية ٣٨٥٠٠٠٠٠٠ ريال سعودي . وهي : طريق مكة - السدرب وطولها ٦٠٠ كيلومتر وتقوم

معبدة الى القرى الواقعة على مقربة من الطرق الرئيسية وذلك لاكتمال الشبكة وتعميم الازدهار . وقد وجهت الوزارة الدعوة الى خمسة عشر مكثا استشاريا هندسيا ، ووضعت برنامجا مفصلا يحدد أولوية التنفيذ بالنسبة لهذه الوصلات . وقد أنهت المكاتب الاستشارية دراساتها وأحالتها إلى الوزارة لمناقشتها والنظر فيها .

المخطط الثاني للطرق الرئيسية

بالرغم من تفرع الطرقات التي شملها «برنامج الطرق الرئيسي» ، بقي هنالك طرقات نحتاج الى الشق والاستصلاح لاكتمال الشبكة وتعميم الفائدة . فهناك مثلا تكملة الطريق من نبك أبو قصر الى نقطة التقائه بطريق المدينة - تبوك ، ومد الطريق من وادي النواصر حتى نجران فييشة ، وذلك لربط شمال شرقي المملكة بشمال غربيها . كما يزمع انشاء طريق معبدة تربط المنطقة الوسطى بخط التابلاين لتلتقي بخط الرياض القصيم ، هذه الطرق وغيرها هي من ضمن المخطط الثاني للطرق الرئيسية الذي يتوقع البدء به بمجرد الانتهاء من البرنامج الأول .

الطرق الزراعية

وتولي الوزارة أمر انشاء الطرق الزراعية اهتماما بالغا ، فقد أعدت برنامجا خاصا لشق الطرق وايصالها الى المناطق الزراعية لتسهيل على المزارع عملية نقل منتجاته الى الأسواق المحلية وتصريفها بأسعار معقولة تدر عليه المال والأرباح . وتنفيذا لهذا البرنامج ، أرسلت الوزارة فعلا تسع فرق من عمالها بكامل معداتهم الثقيلة والخفيفة لمباشرة شق الطرق الى مناطق أبها والطائف وجيزان والقصيم والشمال وبني مالك وغامد وزهران والدلم . وقد تمكنت هذه الفرق حتى تاريخ هذه السطور من شق حوالي ألف كيلومتر من الطرقات .

عصا المعاد



سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز ، أمير الرياض ، يلقي نظرة على نموذج للطريق من الجبس صنعته وزارة المواصلات وقد بدأ الى يمينه معالي الشيخ محمد
عمر توفيق وزير المواصلات .
تصوير : سعيد الغامدي

الربيع في الشعر العربي القديم والحديث

بقلم الاستاذ محمد عبدالمعزم فخامي

متّع شبابك بالربيع فانه
عيد الزهور يمر بالأفراح
وفي هذا الاطار الفني والتصور الجميل للربيع
يحيي الشاعر محمود غنيم الربيع عيد الطبيعة ،
ويذكر انه أجلّ ملهمه بالشعر . فيقول من
قصيدته «موكب الربيع» :
حيّ الربيع وحيّ عطر نسيمه
والثمّ جبين الصبح في آذار
عيد الطبيعة يحثني وحش القلا
بحلوله ، والطير في الأوكار
اني لترهف في الربيع مشاعري
ويصدق حسي دقة الأوتار
ويزيد فيه بالجمال تدلّهي
وأنا امرؤ حبّ الجمال شعاري
متّع فؤادك بالربيع فانه
لحن الزمان وبسة الأقدار
ان الربيع هو الحياة وسحرها
لولاها لم نحوص على الأعمار
ويخالف الدكتور أحمد زكي أبو شادي هذا
المنهج الوصفي في الحديث عن الربيع فيقول
من قصيدته «ميلاد الربيع» :
أمن العواصف والدموع
هذي الملاحه للربيع ؟
هذي الأشعة جسدت
في كل حن تستطيع
يا عين ما النبع الذي
غمر الجمال به الربيع ؟
جاءت به حور الجنا
ن وحاذرت ألا يضيع
أحلى التحايا للرب
مع حياة ما يوحى الربيع
ويعلل الشاعر المهجري الكبير الياس فرحات
حبه للربيع هذا التعليل الجميل فيقول من قصيدته
«حب الربيع» :
أحب الربيع وأيامه
وأهوى ليايله الضاحكات

نجد الربيع مانثلا في الشعر المعاصر ، بكل فتنه
وروعته وبهجته وحيويته . واشراقه وخضرته .
ولا فتان الشعراء بالربيع . سمى الكثير منهم
دواوينهم به . فهذا ديوان «أطياف الربيع»
للدكتور أحمد زكي أبي شادي . الذي طبع
عام ١٩٣٣ . وهذا ديوان «الربيع» للشاعر
المهجري الكبير الياس فرحات . المطبوع في
سان باولو عام ١٩٥٤ . وللشاعر العربي السعودي
طاهر زمخشري ديوانان «أحلام الربيع» .
و «أنفاس الربيع» . وللشاعر الدكتور كمال
نشأت ديوان «ماذا يقول الربيع ؟»
ويصور أمير الشعراء أحمد شوقي الربيع
بمهرجان للجمال والصفو والصبوح والزهور .
فيقول من قصيدة طويلة :
آذار أقبل قم بنا يا صاح
حي الربيع حديقه الأرواح
واجمع ندامي الظرف تحت لواله
وانشر بساحته بساط الرّاح
صفو أتيح ، فخذ لنفسك قسطها
فالصفو ليس على المدى بمتاح
ملك النبات فكل أرض داره
تلقاه بالأعراس والأفراح
لبست لمقدمه الخمائل وشيها
ومرحن في كنف له وجناح
اني لأذكر بالربيع وحسنه
عهد الشباب وطيفه (١) المراح
وسار على نهج أمير الشعراء الشاعر ، الشاعر الليبي
أحمد رفيق المهدوي (١٨٩٨ - ١٩٦١) .
فظم قصيدته (جاء الربيع) التي عارض بها
قصيدة شوقي ، ويقول فيها :
جاء الربيع فقم بنا يا صاح
نلق الزمان يمرّ بالأفراح
في موكب لبس الزمان شبابه
واختال منه ببيعة ومراح
أيامه حور حسان أقبلت
تهدي عروس الحسن للأرواح

زهر وعطر في دفته الجميل ،
وشمس المشرقة ، وابسامته
العذبة . وفي هدوئه وصفائه وخضرته ومائه .
وفي اقباله وجماله . أغرى الشعراء بالكلام .
وألهمهم روائع القصيد ... ولا عجب في ذلك .
فالطبيعة في كل زمان ومكان هي المثابة لروح
الالهام في الشعر . وهي الموحية للشاعر بالكثير
من ألوان الخيال والصور والمشاعر والخواطر والمعاني
والآثار الأدبية . والشاعر في قلب الحقل يهتز
— كما يقول «مستزل» (Mistral) — كما
يهتز صدى الصوت .. وقد افتن الشعراء بالطبيعة
وصوّروها في شتى مشاهدنا . صوراً تجمع غالبا
بين صدق الاداء . وحرارة الاحساس . فما بالناس
بالربيع وهو قمة كمال الطبيعة وجمالها ؟
وفي الشعر العربي القديم نجد شعراء يتغنون
في شعرهم بجمال الطبيعة . ويحفل شعرهم
بصورها . كأبي تمام . والبحتري . وابن الرومي .
وابن المعتز . والصنوبري . وابن كعب التنبسي .
وابن حمديس الصقلي . وابن خفاجة وسواهم .
وقد وصف الشعراء القدامى الربيع وجماله فني
قصائداهم . وتعد من أجملها قصيدة أبي تمام
التي يقول فيها :
يا صاحبيّ تقصّيا نظريكما
تريا وجوه الأرض كيف تصوّر
تريا نهارا مشمسا قد شابه
زهر الرّبيّ فكانما هو مقمر
وكما تحدث الشعراء العباسيون . والشعراء في
الغرب مثل «ورد زورث» . و «شيلي»
و «هاردي» . و «مورال» . و «هوجو» .
و «لامرتين» . في وصف الطبيعة والربيع
والأزهار والريف . تحدث شعراؤنا المعاصرون
من أمثال أبي شادي . ومطران . وشكري .
وعلي محمود طه . والمشمشري . والشابي ،
وأبي ماضي وسواهم . وتغنوا بالربيع وجماله .
والربيع دائما يثير الشعراء ويوقظ مشاعرهم .
ويلهمهم روائع التصوير في كل بيئة وعصر . ومن ثمّ

فان الربيع شباب الزمان
وان الشباب ربيع الحياة
وفي أشعار الزهاوي وحافظ جميل وعلي محمود
طه والهمشري أوصاف جميلة للربيع .
ويجيء عبد القادر رشيد الناصري بنغمة حلوة
في وصف الربيع فيقول من قصيدته « في ارتقاب
الربيع » :
الربيع الربيع ملء ضلوعي
صلوات .. الى ارتقاب الربيع
كلما مرَّ طيفه في خيالي
ظلمت مهجتي وجاعت ضلوعي
لا أراني أعيش حتى أراه
ومضات في الخاطر المفجوع
موكباً أثر موكب تزرع السحر
يداه مفاتنا في الربيع

وجرى الجدول الكسول يتأغي
بأهوى العف ظامئات الزروع
سألتني عن الربيع فاني
أنا أدرى بسحر معنى الربيع
في دمي منه شعلة تكسب الشع
ر عبيراً من قلبي المصدوع
وتحيل الحياة جنة شوق
يرتوي زهرها بفيض دموعي
وهكذا عبر الشاعر العربي المعاصر عن الربيع
في شعره تعبيراً يتناول حيناً مظاهره وألوان الجمال
الذي أودعه ، وحيناً آخر سره وحقيقته وجوهره .
وحيثاً ثالثاً مشاعر الانسان وعواطفه وجبه وقلبه فيه .
وحيثاً رابعاً وقف مبهوراً يتأمله دون أن يدري
ما يقول ... وما أجمل ما يقول الشاعر العربي
القديم ابن المعتز في وصفه :

حبذا آذار شهرا
فيه للنور انتشار
ينقص الليل اذا جاء
ويمتد النهار
نقشه آس ونسر
ين وورد وبهار
وعلى الأرض اخضرار
واصفار واحمرار
وليس من قصدنا في هذا الحديث ان نضع
كل هؤلاء الشعراء في منازلهم الأدبية . ولا
ان نوازن بينهم موازنة تكشف عن الفاضل
والمفضل . ولكننا نستعرض هنا مناهجهم وطرقهم
الفنية في الحديث عن الربيع . وجماله ،
وروعته . وذلك ما اليه قصدت . وما عنه
تحدثت .

من تراث العرب

ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ،
انما الفصاحة لنا أهل مكة ! فقال ابن منذر :
أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن . وأكثرها
له موافقة ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم .
فأنتم تسمون القدر : برمة . وتجمعون
البرمة على برام . ونحن نقول : قدر . ونجمعها
على قدور . وقال الله عز وجل : (وجفان كالجواب
وقدور راسيات) .
وأنتم تسمون الطلع : الكافور . والاعريض .
ونحن نسميه : الطلع . وقال الله عز وجل :
(ونخل طلعها هضيم) .
قال جرير : دخل الهيثم بن الأسود
ابن العريان النخعي ، وكان خطيباً شاعراً ،
على عبد الملك بن مروان فقال له : كيف

تجدك ؟ قال : أجدني قد ابيض مني ما كنت
أحب أن يسود ، واسود مني ما كنت أحب أن
يبيض ، واشتد مني ما كنت أحب أن يلين
ولان مني ما كنت أحب أن يشتد .
عن حماد بن عمار قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « أوصاني ربي بتسع :
أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية ، وبالعدل
في الرضى والغضب . وبالصدق في الغنى والفقر .
وأن أعفو عن ظلمي ، وأعطي من حرمي .
وأصل من قطعني ، وأن يكون صمتي فكراً .
ونظمي ذكراً . ونظري عبثاً . »
عن حماد : إذا أنكر القائل عيني
المستمع ، فليستفهمه عن منتهى حديثه ، وعن
السبب الذي أجرى ذلك القول له ، فإن وجده
قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث ، وإن

كان لاهياً عنه حرمه حسن الحديث ونفع الموائسة ،
وعرفه بفسولة الاستماع ، والتقصير في حق
المحدث . وقال أيضاً : للقائل على المستمع
ثلاث : جمع البال ، والكتمان ، وبسط العذر .
عن حماد بن عمار : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « أوصاني ربي بتسع :
أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية ، وبالعدل
في الرضى والغضب . وبالصدق في الغنى والفقر .
وأن أعفو عن ظلمي ، وأعطي من حرمي .
وأصل من قطعني ، وأن يكون صمتي فكراً .
ونظمي ذكراً . ونظري عبثاً . »
عن حماد : إذا أنكر القائل عيني
المستمع ، فليستفهمه عن منتهى حديثه ، وعن
السبب الذي أجرى ذلك القول له ، فإن وجده
قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث ، وإن

الحجرات تاريخ الطب العربى

فلم الدكتور بونى شاعة

أو من تقدمت بهم السن وأوتوا نصيبا من الذكاء واللباقة ، وقد اقتصر طبايئهم على التماس والتعاويد ، والحجامة ، والكلى ، والفصد ، والخلطات من المواد النادرة ، أو الأعشاب الغريبة توضع على الألم أو تعطى عن طريق الفم ، وكثيرا ما كان للأثر النفسى الدور الأول فى شفاء المريض . وقد كان العسل أشهر المواد التى تدخل فى مركبات العلاجات يومئذ ، كما كان الكلى أشهر الوسائل فى علاج الألم وغيره .

وأول طبيب عربى أوردت ذكره المصاحف المؤنقة كالفقطنى وابن أبي أصيبعة هو الحارث ابن كلفة من ثقف ، وقد عاصر هذا الرجل محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقى دراسته فى مدرسة الطب الفارسية فى مدينة جنديسابور ، وقد عالج هذا الطبيب كسرى أنوشروان أكثر من مرة .

كما مارس الطب أيضا النضر بن الحارث ، وتتضارب الآراء حول النضر هذا ، والأرجح أنه ليس ابن الحارث السابق الذكر وإنما هو ابن الحارث بن علقمة بن كلفة ، وهو نسب مختلف .

عصر النبى والخلفاء الراشدين

ظلت طبابة الجاهلية سائدة فى هذه الفترة التى تقارب الأربعين سنة ولكن لونا آخر أضيف إلى كل ذلك وهو ما عرف بالطب النبوى ، وهو عبارة عن مجموعة من أحاديث رسول الله جاءت بمثابة تعاليم صحية ، ولسات تتعلق بالصحة والنظافة والعناية بالجسم . وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض الأمور الصحية ، كالمراحل الجنينية للإنسان ففى أكثر من آية .

وقد شغل الرسول عليه السلام وصحبه فى هذه الفترة بتثبيت العقيدة الإسلامية وتحقيق نظام الإسلام فى الدولة الناشئة فى المدينة المنورة ، وشغل الخلفاء من بعده بنشر الإسلام وبحروب الردة ، فلم يكن هناك

من الأجانب (المأمركين) من شتى أنحاء العالم . احتضنت الدولة هؤلاء الأجانب وأغدقت عليهم وزودتهم بالضروري وغير الضروري ، حتى أتوا بالأمور الجسام ولم يختلف الأمر مع الدولة الإسلامية ، فهل تعاب أمريكا على ما فعلت ؟

أما الذين أرخوا لهذا البحث فهم مشاهير المؤرخين العرب كابن التديم فى كتاب (الفهرست) وابن أبي أصيبعة فى كتابه (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) . وقد كان هذا المؤرخ نفسه طبيا ، والفقطنى فى كتابه (أخبار العلماء بأخبار الحكماء) وابن خلكان فى (فيات الأعيان) وابن خلدون فى مقدمته ، والمقرئى ، وابن العبري ، والمقرئى ، وحاجي خليفة ، كما أن عددا من الرحالة العرب أرخوا لفترة أو فترات من هذه الحقبة من الزمن ، كابن جبير ، وعبد اللطيف البغدادي ، وغيرهما . ومن أشهر المستشرقين الذين ساهموا فى هذا الباب المستشرق الفرنسى لاكليرك ، وفلوجل ، وبروكلمن ، وبراون ومايرهوف وغيرهم .

يضاف إلى كل أولئك ما حفظته المخطبات والمساجد والمتاحف فى العالم الإسلامى ، وأوروبا من مخطوطات كالقاهرة ، وإستانبول ، ودمشق ، وحيدر أباد ، وباريس ، ولندن ، وميدريد ، وإن مكتبة اسكوريال فى مدريد لتحتوي على أضخم مجموعة من المراجع والآثار عن التراث العربى .

وللتسلسل التاريخي رأيت أن أستعرض مراحل الطب العربى واحدة واحدة ، منذ الجاهلية حتى أواخر القرن الثالث عشر للميلاد ، إذ لم يكن بعد ذلك فى العالم الإسلامى فى الطب العربى من جديد جدير بالذكر .

العصر الجاهلي

لم يكن فى الجاهلية من طب بالمعنى الصحيح ، وإنما كانت هناك طبابة جاءت حصيلة تجارب متوارثة يقوم عليها الكهنة ، والمشعوذون .

لست أرخ للطب العربى ، ففى هذا المجال سبقني كثيرون ، منهم العربى والمستشرق ، وإن المكتبة الأجنبية لتكاد تحوي من المراجع فى هذا الباب أكثر مما تحويه المكتبة العربية .

ثم اني لست من هواة اجراء المجد المؤثل ولا التفتنى به . كلا ، إنها تذكرة وحافز ، تذكرة بماض له حاضر ، وحاضر له ماض ، وحافز يدفع بنا فى الاتجاه السوي ونحن على مفترق الطرق .

تعريف

قبل الخوض فى هذا الموضوع أود أن أضع بين يدي القراء تعريفا أو تحديدا لمعنى العنوان . فالطب العربى تسمية تطلق على كل ما دون بالهرية أو نسب إلى العرب من طب منذ الجاهلية حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى ، سواء تم ذلك على أيدي العرب أو غيرهم ، المسلمين منهم ، أو غير المسلمين .

وحقيقة الأمر أن العديد من أطباء العصر العباسى . كانوا من غير العرب ، كما أن كثيرين منهم لم يكونوا مسلمين ، ولكن الدولة الإسلامية التى احتضنت علم الأولين وطبهم ، كاليونان والفرس والهنود والبيزنطيين ، اجتذبت إليها كل هؤلاء ، وعينت بهم وأغدقت عليهم .

يعنينا من هذا كله أن نؤكد أن المحصول الطبى عند العرب بلغ ذروته حين كانت الدولة الإسلامية فى ذروة مجدها وسلطانها ، ويعنينا أيضا أن نرد على قول المغرضين من أن العرب أو المسلمين لم يكن لهم شأن يذكر فى عالم الطب ، فأكثرية الذين أسهموا فى هذا المجال فى ظل الدولة الإسلامية لم يكونوا عربا ولا مسلمين . نرد على هؤلاء يمثال قائم فى هذا العصر نجده فى الولايات المتحدة الأمريكية التى قطعت فى مجال العلم والاختراع شوطا واسعا . بفضل قرائع الكثير

مجال في مرحلة التمرکز هذه للشئون الأخرى كالطب وغيره .

العصر الأموي

تميزت هذه الفترة التي امتدت من منتصف القرن السابع الميلادي الى منتصف القرن الثامن الميلادي بالفتوحات الشاملة التي وسعت رقعة الدولة فأصبحت تمتد من الأندلس الى سمرقند . ومن هنا أصبح المسلمون على اتصال بمراكز الحضارات القديمة ، فإلى أي حد اكتسبوا وأفادوا من علم الأولين وطبهم في هذه الفترة ؟

لقد جاءت البادرة الأولى على يد الأمير خالد ابن يزيد بن معاوية ، الذي وجه كل همهم نحو الكيمياء بعد أن فشل في وراثة عرش والده . ويحدثنا ابن النديم أنه جمع فلاسفة اليونان المقيمين في مصر آنذاك وأمرهم بترجمة الكتب اليونانية والمصرية التي تبحث في الكيمياء الى العربية ، ولا يستبعد أن يكون هؤلاء قد ترجموا كتب الطب أيضا الى العربية ، وهكذا ربما

كانت تلك الكتب أول ما ترجم في الإسلام من لغة الى أخرى .

أما في الطب بالذات فقد ذكر ابن أبي أصيبعة بعض الأطباء في هذه الفترة ، منهم ابن عثال الذي كان طبيا خاصا للخليفة معاوية . وآخر اسمه أبو الحكم ، الذي أصبح ابنه الحكم طبيا فيما بعد . وقد كان عيسى بن الحكم هذا طبيا أيضا . ويروى أن له كتباً في الطب لم يصلنا منها شيء . وهناك طبيب آخر اسمه ثيودوسيوس ، كان طبيب الحجاج الخاص ، وله بضعة مؤلفات . ونختم هذه القائمة القصيرة من الأطباء بأعرابية اسمها زينب كانت تعالج الرمد . أما في ميدان الصحة العامة فإن الطبري يحدثنا أن الوليد بن عبد الملك عزل المجذومين سنة ٧٠٧ م وأنشأ الملاجئ للعجزة والمكفوفين .

العصر العباسي (العصر الذهبي)

في منتصف القرن الثامن للميلاد ، وبعد أن أصبحت بغداد عاصمة العالم الاسلامي ، بدأ سيل من العلوم اليونانية وغيرها يتدفق الى العالم

الإسلامي عبر بغداد ، ويطلع بالطابع العربي . وفيما يتعلق بالطب خاصة فقد نفتحت مدرسة الطب الفارسية ومستشفاهها في جنديسابور بغداد بالكريم من عطائها ، وإن لم يبق منها اليوم غير الاسم .

أسس هذه المدينة شابور الأول في القرن الثالث للميلاد ، في منطقة خوزستان في الجنوب الغربي من إيران اليوم ، وأعاد تأسيسها في القرن السادس الميلادي كسرى أنوشروان ، ويرجع الفضل في تقدم هذه المدينة وتقدم مدرستها الى النساطرة الذين فروا من الرها (اديسا) اليها بسبب الاضطهاد الديني البيزنطي . وكان النساطرة تلامذة اليونان وحملتهم علمهم وفلسفتهم ، حتى إذا ما لجأوا الى جنديسابور أخذوا ينشرون ما لديهم من معرفة ، وقد أولاهم كسرى أنوشروان عنايته وعطفه . وابتعث الى الهند طبيبه الخاص (برزيا) الذي عاد معه الكثير من طب الهند ، وربما قد اصطحب معه بعض الأطباء في عودته . وهكذا استتقت هذه المدرسة من روافد المعرفة القديمة كلها ، وما أن جاء القرن السابع للميلاد حتى تألق مجددها . واستعان الخليفة العباسي



رسم يمثل الرازي وهو يقوم بتحضير بعض العقاقير الطبية في مختبره بمستشفى بغداد الكبير .

المنصور بها حين ألم به المرض فانتدب الطبيب جرجس بن بختيشوع عميدها آنذاك، لمعالجته. وجدير بالذكر أن أسرة بختيشوع هذه احتكرت الطب في سلالتها في جنديسابور بشكل خاص طوال قرنين ونصف من الزمان .

الترجمة

وبحكم احتكاك المسلمين وصلتهم بتراث الإغريق ، وبحكم شغفهم بالمعرفة ، ومنها (علم الأبدان) ، فقد كان من الطبيعي أن تنقل هذه المعرفة الى اللغة العربية على أيدي مترجمين . وفي سنة ٨٣٠ م أسس المأمون (بيت الحكمة) في بغداد ، وكانت عبارة عن كلية للترجمة نخبها من النساطرة الذين أقاموا في جنديسابور والذين راحوا يترجمون من اليونانية الى السريانية فالعربية أو الى العربية مباشرة . وعلى رأس هذه النخبة يأتي (حنين بن اسحق العبادي ٨٠٩ - ٨٧٧ م) الذي يعد رائد التطور الملحوظ في الطب العربي . كان حنين نفسه طبيباً ، وقد تتلمذ في العربية على الخليل بن أحمد ودرس اليونانية دراسة خاصة . وكان لحنين الفضل في ابتداء التعابير الطبية في العربية أثناء ترجمته من اليونانية وقد ترجم من اليونانية شتى المواضيع بالإضافة الى طب أبقراط وجالينوس . وله مؤلفات أصيلة في الطب .

وفريق آخر من المترجمين الذين كان لهم في بناء النهضة المذكورة نصيب جليل ، جاءوا من حران . هذه المدينة التي ظلت وثنية جاهلية حتى القرن الثالث عشر الميلادي . وفي طليعة هؤلاء ثابت بن قرة الحراني سنة (٨٣٦-٩٠١ م) والذي صار طبيباً في بغداد فيما بعد ، ثم ولده سنان وابراهيم فحفيداه ثابت وابراهيم فولد حفيداه سنان .

وهكذا أصبح لدى المسلمين ثروة ضخمة من علوم الأولين ومعرفتهم بفضل حركة الترجمة هذه . ولا يفوتنا هنا أن نسجل مواقف الخلفاء المشرفة في هذا العصر ، وحرصهم على جمع المعرفة من أي مكان مدللين في سبيل ذلك الصعاب . فكثيراً ما كان الحصول على المخطوطات القديمة شرطاً من شروط معاهدات الصلح المعقودة ، بين الخليفة والامبراطور البيزنطي . ويحدثنا ابن أبي أصيبعة أنه عندما فتح العرب كلاً من عمورية وأنقرة جمعوا كل ما وجدوا فيهما من مخطوطات . وأن المأمون أرسل وفداً خاصاً الى

الامبراطور البيزنطي لجمع المخطوطات . . وكثيراً ما كانت الكتب العلمية القديمة مادة تُهدى ، وإن امبراطور القسطنطينية توسل بإهداء الكتب القيمة للخليفة في الأندلس ليكون حليفه ضد الخليفة في بغداد .

كان في كل مدينة كبرى مكتبة عامة فيها قاعة اجتماعات لبحث الشؤون العلمية والدينية . وعلى غرار بيت الحكمة في بغداد أنشئت فيما بعد دار الحكمة في القاهرة ، حيث المترجمون والنساخ والمؤلفون . وأنشئت في قرطبة مكتبة حوت زهاء ربع مليون مجلد . وكان للعديد من الحكام والأغنياء مكتبات خاصة ، وكان الأطباء في هذه الحقبة من تاريخ الإسلام مولعين بجمع الكتب واقتنائها . فقد حوت مكتبة ابن الطران ، طبيب صلاح الدين الخاص ، حوالي عشرة آلاف مجلد . أما مكتبة ابن التلميذ ، صاحب أحسن مرجع في العقاقير في عصره ، فقد حوت عشرين ألفاً ، دون الكثير منها بخط يده . وابن الفطحي ، المؤرخ المشهور ، كان يملك مكتبة تقدر بخمسين ألف دينار . وقد حوى كل مستشفى كبير مكتبة فيها المراجع المهمة . أما في الأندلس فقد بلغ حب اقتناء الكتب حد الهواية والهوس ، حتى لدى بعض الأميين .

هذه النهضة العلمية المباركة وهذا الاقبال النادر المثال على التهام المعرفة ، كانا كفيلين بإيجاد الأطباء الأفاضل في تلك الحقبة ممن جرى ذكرهم على كل لسان . وقد ألف هؤلاء المؤلفات الضخمة القيمة التي أضحت فيما بعد مراجع في مكتبات الغرب لا غنى عنها ، ودونوا فيها ما كان لدى اليونان وغيرهم من معرفة في الطب . بعد أن نذبوا الغث منها . . . وافقوهم في بعضها وخالقوهم في البعض الآخر بحجج دامغة ، وشخصوا أمراضاً لم تشخص من ذي قبل ، ووضعوا نظريات أثبتت الأيام صحتها ، وحلوا تحليلات لم تعرف لدى سابقهم . فالأطباء في العصر الذهبي للإسلام ، سواء في بغداد وقرطبة ، لم يكونوا مجرد نقلة لطب اليونان وغيرهم ، كما يزعم الزاعمون من المستشرقين بل كانوا أمناء على تراث الفكر الانساني ، حفظوا لكل من سبقهم حقه فنسبوا اليه ما أخذوا عنه . ثم أضافوا الى ذلك الكثير مما أبدعوا ، وإنك لتجد ذلك واضحاً جلياً وأنت تقرأ بعض الفقرات من كتاب الحاوي في الطب للرازي ، أو كتاب القانون لابن سينا وغيرهما .

وما لنا لا نورد هنا ما سجله مستشرق معروف هو كستون (Cumston) في كتابه (ملخص

تاريخ الطب) حول دور العرب في هذا المضمار حيث يقول : «لقد أخذ العرب خلاصة ما في مؤلفات اليونان ، ونذبوا جانباً كل ما هو غث زائد . وما على المرء إلا أن يقرأ جالينوس أولاً ثم يقرأ ابن سينا بعد ذلك ليدرك الفرق ، فالأول غامض والآخر واضح تماماً ، والترتيب والنهج هما قوام الأخير ، بينما تبحث عبثاً عن هذين الأمرين في الاول » .

وفيما يلي سنأتي على ذكر بعض أعلام الطب في العالم الإسلامي في الفترة الواقعة ما بين القرنين الثامن والرابع عشر للميلاد ليتبين القارئ الكريم الشاؤم البعيد الذي بلغه الطب العربي في هذه الفترة من تاريخ الإسلام ويرى بنفسه ما أبدع أطباء هذه الفترة وما خلفوا من تراث يستحق الإعجاب والتقدير .

جرجس بن بختيشوع : مات ٨٠٩

كان أول من عمل لدى الخلفاء العباسيين في بغداد . وكان رئيس الأطباء في جنديسابور آنذاك . وله مؤلفات عدة منها (نصائح الروهان) ، ويقال أنه أول من كتب في الطب بالعربية .

حنين بن اسحق العبادي : ٨٠٩ - ٨٧٢

كان مسيحياً نسطورياً . وكان طبيباً ومترجماً في آن واحد ، وله مؤلفات أصيلة بالإضافة الى تراجمه لابقرراط وجالينوس مثل (كتاب المقالات العشر في أمراض العين) . ويعتبر هذا المؤلف أقدم مرجع منتظم حول هذا الموضوع . ونقطة البدء في طب العيون عند العرب .

علي بن عباس المجوسي : مات ٩٨٤

كان طبيب بلاط عضد الدولة ، وتسميته بالمجوسي عائدة الى أصله وديانته . . وأهم مؤلفاته (الكتاب الملكي) أو (كامل الصناعة الطبية) ، وقد وضع في عشرين مجلداً ، العشرة الأولى منها تناولت الناحية النظرية في الطب ، والأخرى تناولت العملية . وقد كان هذا المؤلف كتاب الطب المعتمد في العالم الإسلامي الى أن ظهر كتاب القانون في الطب لابن سينا وذلك بعد قرن من الزمان . وقد كان لهذا الكتاب أثره (بعد أن ترجم) على كلية الطب في جامعة سالرنو في القرن الحادي عشر الميلادي .

ابن سينا: ٩٨٠-١٠٣٧م

يعتبر أمير الأطباء في العصر الذهبي . كان ذا ذاكرة غريبة ، وذكاء ميكرو ، وابن سينا مشهور في عالم الفلسفة كشهرة في عالم الطب ، وله قصيدة عن النفس . تتجاوز مؤلفاته المائة ، وقد كتب في شتى المواضيع حتى في علم طبقات الأرض ! وأهم كتبه (القانون في الطب) وهو موسوعة علمية ضافية وضع فيه بشكل مبوب ومنظم خلاصة الطب اليوناني والعربي ويحتوي على نحو مليون كلمة . وقد ترجم الى اللاتينية ونشر له نحو ٣٠ طبعة مبنية على الترجمة اللاتينية . قسمه الى خمسة أقسام أو كتب دون فيها الأمور النظرية والعملية في الطب والعقاقير المستعملة . ويعتبر أول من اكتشف ووصف عضلات العين الداخلية . وقد سبق غيره الى معرفة بعض الأمراض التي تتقل بواسطة مياه الشرب وقد عزاها الى حيوانات دقيقة لا ترى بالعين تعيش في الماء .

وكان أول من وصف التهاب السحايا (Meningitis) الثانوي ، ويميز بين شلل الوجه الناتج عن سبب داخلي في الدماغ أو عن سبب خارجي ، وفرق بين داء الجنب وألم الأعصاب ووصف الجلطة الدماغية الناتجة عن كثرة الدم ، مخالفا بذلك للتعاليم اليونانية .

لم تبلغ الجراحة في الطب العربي درجة ممتازة إلا عند ظهور « أبي القاسم » خلف بن عباس الزهراوي « في الأندلس » . لقد ذاعت شهرته في الشرق والغرب حتى أن بعض الكاندرائيات زينت بصورته . كان أول من وصف علم الجراحة وصفا دقيقا شاملا . وأهم مؤلفاته كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) ، ويقع في ثلاثين جزءا بحث فيه عن العمليات الجراحية وطرق البضع في أمراض العيون والأسنان والنساء ، وفي الحصاة والفتوق مع بحث في الخلوع والكسور وطرق معالجتها .

وقد قيل فيه انه أول من ربط الشرايين ، وأول من استعمل الحرير وأوتار العود على هيئة خيوط للربط في الجراحة . وأول من استعمل محلول الملح في غسل الجروح . وقد ثبت عنه قيامه بعمليات ثقب الجمجمة والبتر . وقد زين كتابه (التصريف) برسوم

أعظم الدرجات ، وانتخب من بين مائة طبيب رئيسا لمستشفى بغداد . ويمتاز الرازي بضخامة مؤلفاته وكثرتها ويفوق في هذا المضمار جالينوس ، وقد ألف نحو ٢٣٧ كتابا أكثرها مفقود ، وذكر له في كتاب (الفهرست) ١١٣ مؤلفا من تأليفه الكبيرة .

ويعد الرازي أول من ابتكر خيوط الجراحة المسماة بالقصاب (Catgut) من أمعاء الحيوانات وأول من أنشأ مقالات خاصة في أمراض الأطفال ، كما أنه يعتبر أول من عمل مراهم الزئبق واستخدمها في علاج الامساك ، وهو الذي أدخل استعمال مراهم الرصاص الأبيض ضمن العقاقير الطبية . كما أنه أول من اكتشف تأثير حجم بؤبؤ العين بالضوء . وهو أول من شرح مرض الجدري وميزه عن الحصبة ، وله رسالة في ذلك . ومن أشهر مؤلفاته :

الحاوي ، وهو أضخم كتبه وأعظمها في الطب العربي . وكان هذا الكتاب أحد الكتب الثمينة التي تكونت منها مكتبة الطب في باريس في القرن الرابع عشر . وأحسن ما فيه هو التعليقات السريرية على الأمراض وتدوين سير المرض مع العلاج المستعمل ونتيجة العلاج . وفيما يلي مثال بسيط من ذلك : « كان يأتي عبد الله ابن سواده حميات مخططة تنوب مرة في ستة أيام ومرة أربع ومرة كل يوم ويتقدمها نافض يسير . وكان يبول مرات كثيرة ، وحكمت أنه لا يخلو أن تكون هذه الحميات تريد أن تنقلب ربعاً ، وأما أن يكون به خراج في كلاله فلم يلبث إلا مديدة حتى بال مدة وانما صدني في أول الأمر عن ان ابت القول بأن به خراجا في كلاله أنه لم يشك إليّ أن قطنته شبه ثقل معلق منه إذا قام ، وأغفلت أنا أيضا أن أسأله عنه ، وقد كانت كثرة البول تقوي ظني بالخراج في الكلى الخ » .

المنصوري ، ويقع في عشرة مجلدات أهداه الى المنصور بن اسماعيل حاكم خراسان . وقد ترجم الى اللاتينية وأصبح كتاب التدريس في أوروبا حتى القرن السابع عشر .

وله كتاب « بره الساعة » وفيه يسرد الأمراض التي يمكن شفاؤها في وقت قصير . وله الكتاب الفاخر ، والكتاب الجامع ، وكتاب الأسرار ، ورسالة عن حصوات المثانة والكلى ، ورسالة عن الرومازم والقرقر . ورسالة عن (الغصص) . ومن أقواله : « إذا كان الطبيب عالما والمريض مطيعا فما أقل لبث العلة » .

يوسف بن ماسويه: ٧٧٧-٨٥٧م

ولد في جنديسابور لأب صيدلي ، ونشأ في بغداد وكان صديقا ومستشارا للخليفة الواثق . كان حاضرا البديهة سليط اللسان ، ومن أوائل المترجمين ، وكان حنين بن اسحق أحد تلاميذه .

ويعتبر يوحنا أول من شرح بين أطباء العرب ، وهم قليل ، فقد شرح قردا كبيرا ودون ملاحظاته عنه . ويروي ابن أبي أصيبعة أن يوحنا كان يشرح نوعا خاصا من القروء . في غرفة للتشريح على ضفاف دجلة ، كان يجلب له بأمر من الخليفة المنعم .

لابن ماسويه عدة كتب ترجمها عن اليونانية ، وأخرى أصيلة ، فقد كان أول من كتب بنباهة عن أمراض العين ، وعن الجذام والحميات ، وعن العقاقير والسموم ، ولعل كتابه عن الجذام أول كتاب صحيح في هذا المضمار . ومن مؤلفاته : كتاب الفصول ، وكتاب الحميات ، وكتاب السموم ، والعمل باليد .

ابن الرسيم: ٩٦٥-١٠٣٩م

ولد في البصرة ومات في القاهرة . ويسميه الدكتور جورج سارتون (أعظم فيزيائي مسلم ، ومن أعظم تلامذة البصريين في جميع الأزمنة) . كان ذكيا جدا مما مكنه أن يكون طبيبا وفلكيا ورياضيا معا . وأهم كتابين له هما (كتاب المناظر) ، و (كتاب النور) ، وقد خصص في الأول جزءا كبيرا لتشريح العين وفسيولوجيا جهاز الابصار . وعلى الرغم من تأثيره بجالينوس وحنين ابن اسحق في تشريح العين ، إلا أنه كان أصيلا في ملاحظات عدة . ويكفي أنه رفض نظرية سابقيه القائلة بأن الرؤية تتم بصدر أشعة من الدماغ الى العين ومن ثم على الجسم المرئي ، وأثبت أن العكس هو الصحيح .

الرازي: ٨٥٠-٩٣٢م

ولد ونشأ في منطقة الري من بلاد فارس بالجنوب الغربي من طهران . ويعتبر امام المؤلفين في الطب العربي . ولع بالموسيقى ، ثم درس الفلسفة ، ولم يبدأ دراسة الطب إلا بعد سن الثلاثين .

ومن حيث الدقة في الملاحظة والتجربة فإنه يعد في درجة أبقراط . فقد كان أحد الوصاف الأصليين للأمراض ، وقد بلغ في الطب السريري



رسم لطبيب عربي يعود مريضاً في أحد مستشفيات الاندلس .

وبصفي القلب وقد خالط الهواء وقد كرر نظريته هذه في خمسة مواضع من كتابه فظهر فهمه لها فهما أكيدا .

أولئك بعض أعلام الطب العربي في عصره الذهبي . أتينا على ذكر بعض ما لهم من فضل على الطب ، في ايجاز شديد . وقد أغفلنا عمداً - لضيق المجال - ذكر نفر من أطباء الأندلس - باستثناء الزهراوي - كإبن زهر ، وإبن رشد ، وإبن ميمون ، وإبن البيطار ، وقد وددت ذكر اسمائهم هنا خشية الاحساس الموهوم بالفرق الكبير بين نهضة الطب في بغداد ونهضته في قرطبة .

المستشفيات في هذا العصر

مر بنا الكلام على مدرسة جنديسابور وما وصلت اليه من مجد وما كان لها من أثر في الطب العربي منذ الجاهلية . أما في العهد الأموي فقد أنشئت مستشفيات صغيرة للمجذومين والمكفوفين . أما المستشفيات بالمعنى الصحيح فلم تعرف إلا في عهد بني العباس ، وفي العهد الأموي في

المقتطف (تشرين أول سنة ١٩٣٦ م) ، أثبت فيه سبق ابن النفيس في هذا الاكتشاف ، وأورد النص الذي يشرح فيه سرفيتوس نظريته ، وبين أنه ترجمة حرفية لنظرية ابن النفيس مما حمله على الظن بأن يكون سرفيتوس قد نقل عن ابن النفيس .

ويقول الدكتور الحداد : «يعود الفخر في اكتشاف الدورة الدموية الصغرى ، وفهم وظائف الرئتين وأوعيتهما الى العرب ، لا يتنازعهم في ذلك أحد» .

وهذه فقرة مما كتبه ابن النفيس في (شرح القانون) حول الدورة الدموية الصغرى ، يقول : وهذا التجويف هو التجويف الأيمن من تجويفي القلب . وإذا لطف الدم في هذا التجويف فلا بد من نفوذه الى التجويف الأيسر . ولكن ليس بينهما منفذ فان جرم القلب هناك مصمت ليس فيه منفذ ظاهر كما ظنه جماعة أو منفذ غير ظاهر ليصلح لنفوذ هذا الدم كما ظنه جالينوس ، فإن مسام القلب هناك مستحصنة وجرمه غليظ فلا بد وأن يكون هذا الدم إذا لطف نفذ في الوريد الشرياني الى الرئة لينبث في جرمها ويخالط الهواء

للأدوات والآلات التي كان يستعين بها أثناء العمليات الجراحية . وتدل بعض هذه الصور على أنه كان يستعمل الملقط لاستخراج رأس الجنين عند تعسر الولادة . فلا غرو أن يكنى - بعد ذلك كله - بأبي الجراحة .

ابن النفيس

ولد في دمشق ومات فيها سنة ١٢٨٨ م عن ثمانين عاما تقريبا . وقد قضى معظم حياته يعمل في القاهرة حيث كان عميد المستشفى المنصوري . كان الى جانب عمله بالطب عالما بالفقه والحديث واللغة والمنطق . قال ابن العماد الحنبلي : «وأما في الطب فلم يكن على وجه الأرض مثله . وقيل ولا جاء بعد ابن سينا مثله» .

وله كتب عديدة في الطب أهمها (الموجز) و (شرح تشريح القانون) . وأهم ما جاء به اكتشافه للدورة الدموية الصغرى أو الرئوية ، وبذلك يكون قد سبق سرفيتوس (Servitus) وهارفي الى ذلك بزمان . بل أكثر من ذلك لقد عقد الدكتور سامي الحداد مقالا علميا في مجلة

الأندلس . وما أن بلغت المستشفيات في بغداد ودمشق والقاهرة حد الاتقان حتى تزعزع مركز جنديسابور وطمست سمعتها . وكان موقع المستشفى يدرس بعناية قبل تأسيسه ، ويحكى أن عضد الدولة استشار الرازي في موقع المستشفى الذي سمي فيما بعد بالعصدي ، فأرسل هذا غلمانه يعلقون قطع اللحم الطازج في أمكنة عدة من بغداد ، واختار موقع المستشفى في المكان الذي كان فيه تعفن اللحم أقل ما يكون .

وبالإضافة الى الموقع الصحي كان وجود الماء الجاري وقرب المستشفى من مسجد أمرين مرغوبا فيهما جدا . وكانت المستشفيات أنواعا مختلفة ، منها ما هو خاص بحالات معينة من المرض ، أو عمومي لشتى الحالات المرضية . منها :

١ - مستشفيات المجذومين ، أول مستشفى في الإسلام من نوعه أسسه الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٧ م .

٢ - مستشفيات الأمراض العقلية أسست الملاجىء للمعتوهين والمجانين في فجر تاريخ الإسلام ثم خصصت فيما بعد أجنحة في المستشفيات العمومية لهذه الحالات .

٣ - العيادات المتنقلة ، وكانت ترسل الى أماكن مختلفة من البلاد وخاصة مناطق المستنقعات حيث لا يوجد أطباء .

٤ - المستشفيات العمومية ، كان في كل مدينة من مدن الدولة مستشفى عام . وهكذا كان في كل من بغداد والقاهرة ودمشق والقدس ومكة وحلب والعديد من مدن الأندلس مستشفى عام أو أكثر تنشئه الدولة أو بعض الأغنياء أو الأطباء ، وكان يعالج فيها أي من رعايا الدولة دون تمييز .

وقد قسم كل منها الى قسمين ، واحد للرجال والآخر للنساء ، كما قسم كل قسم الى عتابر وغرف بحسب أنواع الأمراض . وكان يدير كل مستشفى كبير مدير له مركز مرموق في الدولة ، وكان أثاث المستشفيات ومستوى الغذاء فيها من أرقى ما يكون . وكان في كل مستشفى هيئة من الأطباء والمرضين والمرضيات ، وكان الأطباء ذوي اختصاصات مختلفة . ويروى أنه كان في المستشفى العصدي ببغداد ٢٤ طبيا . ولو قرأت ما كتبه ابن أبي أصيبعة عن سير العمل والنظام في المستشفى النوري بدمشق لما وجدت فرقا كبيرا بينه وبين ما يجري اليوم في

المستشفيات الحديثة . وكان بجوار كل مستشفى كبير صيدلية يشرف عليها مسئول قدير وكان يتصل بمعظم المستشفيات الكبرى مدرسة للطب يدرس فيها الطلاب ويتمرنون في المستشفى كما هي عليه الحال اليوم .

ونحن نروي هنا هذه الطريقة للتدليل على مستوى الغذاء في تلك المستشفيات وحسن معاملة المرضى وهي على لسان الرحالة المشهور عبد اللطيف البغدادي :

« تمارض رجل فارسي يوما ، طمعا في الغذاء الجيد والمعاملة الحسنة في المستشفى النوري بدمشق فلما فحصه الطبيب المسئول أدرك الأمر ، وأمر « للمريض » بطعام شهى كالذجاج ونحوه . وبعد ثلاثة أيام عاد الطبيب « مريضه » وأخبره أن ضيافة العرب ثلاثة أيام فقط ، وأمر بإخراجه من المستشفى . وفيما يلي ذكر سريع لأهم المستشفيات في العالم الإسلامي إبان العصر الذهبي كان أهمها ثلاثة : المستشفى العصدي ببغداد ، والنوري بدمشق ، والمنصوري بالقاهرة .

أنشئ المستشفى العصدي في عهد بني بويه ، بناه عضد الدولة الذي حكم ما بين سنة ٩٤٩ وسنة ٩٨٣ م ، وقد ضم ٢٤ طبيا منهم جبرائيل ابن بختيشوع ، وابن التلميذ ، وثابت بن قرة الحراني ، كان أشبه بالقصر ، وكان ماؤه يجلب من دجلة . ولا يوجد لهذا المستشفى أي أثر في الوقت الحاضر .

أما المستشفى النوري فقد بناه نور الدين زنكي سنة ١١٥٤ م ، وقد ترأس هذا المستشفى ابن المطران ، الطبيب الخاص لصلاح الدين الأيوبي ، وابن قاضي بعلبك وابن النقاش . وقد استقطب اهتمام الناس فقصده المرضى من الأندلس ومصر والعراق . وقد خلفت عادات الدهر من هذا المستشفى بقية باقية كانت منذ عهد قريب مدرسة صناعية للبنات .

وأما المستشفى المنصوري فقد أسسه المنصور قلاوون على غرار المستشفى النوري بعد أن عولج فيه على أثر مغص ألم به ، وقد تم ذلك سنة ١٢٨٢ م . كان هذا المستشفى أحسن بناء وأفخم عدة من أي مستشفى آخر في العالم الإسلامي حيثئذ ، وقد رمم آخر ما رمم سنة ١٩١٥ م ، كما جعل منذ عهد قريب مستشفى للعيون . ومن مشاهير الأطباء الذين عملوا فيه ابن النفيس .

أما المستشفيات الأخرى فكان منها : مستشفى الرشيد ، وعلي بن عيسى ، والمقتدر ، والسيدة ببغداد ، والناصري والقشاشين وأحمد بن طولون

وكافور الإخشيدى والمؤيدي في مصر ، والمستشفى القديم ومستشفى المجاذيم في سوريا ، ويبرس في مكة والمدينة . ويروى أن عدد المستشفيات في قرطبة قد ربا على الخمسين ، وقس على ذلك . وقيل أقول شمس المعرفة عند المسلمين ، كان الغرب على أهبة الاستعداد للأخذ والتلقي والاستيعاب مما جناه العرب وحفظوه . وكان هنالك في العالم الإسلامي ثلاثة مراكز إشعاع أفاد منها الغرب : إسبانيا وصقلية والمغرب . يضاف إليها ما أفاده الصليبيون بالاحتكاك المباشر طوال قرنين من الزمان ، وأن ما يرويه أسامة بن منقذ لأكثر دليل على ذلك . أما أشهر ترجمة فترة النقل هذه فهما قسطنطين الأفريقي وجرارد كريموننا (Gerard of Cremona) ، وقد ترجم هذا الأخير حوالي ٧٠ مؤلفا غربيا في الطب مثل كتاب القانون وغيره .

عصر الانحطاط وانتقال المهرة الى الغرب

في أواخر القرن الثالث عشر للميلاد وطئت بغداد أقدام المغول وحواقر خيولهم بقيادة هولاكو . وشاء الله أن تدمر هذه المدينة - كما دمرت مدن غيرها - على أيديهم ، وأن تحرق مكتباتها أو يلقى بما فيها من مراجع في الرافدين . وبعد ذلك بقرنين دالت دولة العرب في الأندلس على يد فردناند وإيزابلا وبدأت شمس عزتهم بالأفول . ومنذ ذلك القرن تبدل الحال غير الحال ، فقد أتى بعد ذلك على العالم الإسلامي حين من الدهر لم يكن فيه للطب ولا لغيره شيء يذكر ، ولم يقف الأمر عند حد الجمود في ميدان العلم والمعرفة ، بل واختفت آثار جهابذة الطب في العصر الذهبي ، وأصبح الطب فيما بعد ، الى أن بدأ النقل من الغرب في القرن التاسع عشر ، شعوزات وخرافات .

وفي أوائل القرن التاسع عشر بدأ الاحتكاك بين العالم الإسلامي والغرب من جديد وإذا بمانح المعرفة فيما مضى يمد يده الى ممنوحها بالأمس ، وإذا بالزمن يدور دورة أخرى فتبني المدارس وتقام كليات الطب والمستشفيات في بلاد العرب على الوجه الذي نراه اليوم .

عزيزي القاري : ذلك من أبناء الطب العربي سقناه اليك ، لدحض ما اقترى عليه بالينة الناصعة ، وأن ما تقرأه اليوم ما هو إلا نزر يسير من كثير مما يضيق به المجال ، ولعل في هذا النزر ما ينفي بالغرض .

الرافعي

فكره في الحياة

بقلم الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ

يدور الزمان بعد رحلة متجددة . فقبل ثلاثين عاما ، وفي اليوم العاشر من شهر مايو سنة ١٩٣٧م انطلقت الى الأبدية روح علامة العرب الاسلامي ، وعلم من أعلام اللغة والأدب المغفور له مصطفى صادق الرافعي . وهو من هو ، عالم الدين ، والأديب الشاعر ، والمفكر والفيلسوف .. من صفوة الرجال عقيدة وثقافة ، عملا وجهادا ..

أعطى الوجود من نفسه ومن فكره .. من روحه ووجدانه .. من قلمه وقته .. أعطى الكثير بأكثر أضعافا من الثمن الذي قايسه عليه الحياة ، وان ما أخذ منها لم يره هو . فحياته الثانية هي المجد الذي كتب له ، تتوارثه الأجيال والناس وهو في صمته الناعم مرتاح من كل تلك المتاعب التي عاصرها . لهذا كانت حياة الرافعي التي أوفت على النصف قرن - اذ ولد في يناير سنة ١٩٨٠م - كانت حياته النضالية بالفكر والقلم والشعور ، ثمرة ناضجة من ثمار الانسانية الباقية . ولكنها باهظة الثمن .. شأن كل عظيم . فمئذ أن شعر وتأثر بمكتبة أبيه العلمية في طنطا - مسقط رأسه - وهو يحمل العبء .. عبء العيش ومتاعبه .. عبء الرسالة ومهامها . ولقد ارتضى تلك الحياة البسيطة الزينية في حقل وظيفته الصغيرة طوال عمره ليفرغ الى الفكر والقلم . ولقد تزود بعلم عديد وثقافات متنوعة جعلت منه نسيج وحده في التفكير والأسلوب البلاغي الى جانب تدينه وعصاميته .

فهو رجل تقوى وفصل ، وهو من أعلام البيان والكفاح من أجل لغة القرآن وتعاليم السماء ومعجزاتها ، وهو الأمين الغيور على مقدساتنا الشرقية وتقاليدنا السامية ومقوماتنا الروحية . وما كتابه الضخم (وحي القلم) في أجزاءه الثلاثة - الا صورة مصغرة من جليل فنه وأعماله الرائعة في النقد والبحث والتحليل والدراسة لشئون المجتمع والأدب ، وبأسلوب فريد يجمع بين البلاغة والقوة والرصانة الى الرقة والخيال والابداع . وان كانت هناك دعوى بأن الرافعي معقد الأسلوب أو أديب صناعة ، فهي دعوى تبرهن على قصر تفكير أصحابها ، وعليهم ينصب اللوم لأنهم لا يرتقون بمستواهم الأدبي أو الثقافي الى حد التكامل والفهم لما يكتبه عموما شري العبارة عميق الاداء قوي الأسلوب . ان مؤلفات الرافعي من دواوينه الأولى فكتابه (المساكين) الى أجزاء سفره الجليل (تاريخ آداب العرب) فاعجاز القرآن والبلاغة النبوية الى مباحثه الوجدانية الشعرية الأسلوب : (حديث القمر ، وأوراق الورد ، والسحاب الأحمر ، ورسائل الأحزان) وغيرها .. انها في جملتها تعتبر مدرسة أدبية لها طابعها المميز للثقافة المركزة الأصيلة . وكان العلامة الرافعي قد شغل في عصره الوسط الأدبي والعلمي في الشرق العربي بما أثاره من مناقشات

وردود على من وجد عنده الانحراف أو الزيغ عن الطريق الصحيح سواء في المسار الخلفي أو النهج الديني أو العمل الأدبي أو اللغوي .. والمتتبع لمراحل حياة الرافعي الأدبية الشامخة ، وما عاصره من تيارات سياسية ودينية وثقافية .. وما كتب من انتاج ذاتي أو انساني - اعتبر لبنة ضخمة في كيان الأدب العربي في مطلع هذا القرن - يعرف قيمة الرجل المسلح بيزاد المعرفة .

كان الرافعي ثروة أدبية كبرى وثروة بلاغية علمية لا تنضب وهما تعيشان على مدى الأزمان ، فقد أوفت حياته كلها خالصة لرسالة الأدب والعلم والأخلاق .. حتى الطبيعة ساعدته بأن حجبت عنه الأصوات ، فكانه في خلوة دائمة ، وكان يقول : « اذا كان الناس يعجزون أن يسمعونني فليسمعوا مني » . وهو الذي ما كان ليخشى في الحق لومة لائم . فعاش مترفا عن كل ما يشين السمعة أو ينال من النفس كأكل انسان عرف نفسه ..

ولا ننسى في هذه الكلمة العابرة أن نستذكر أيضا المرأة المشالية في حياة أستاذنا الراحل الرافعي .. زوجه وشقيقة صديقه الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي - التي قال عنها الرافعي بعد أن خطبها منه : « وشيتني غشية من الفرح فما تلبث حتى مدت اليه يدي فقرأنا الفاتحة ، وما وقع في نفسي وقتئذ أنني أسد يدي لأعطب عروسي بنفسي ، ولكنني أمدها لأتعرف الى العروس » . ولم يكن الرافعي قد رآها ، وإنما كان احساسه يكشف له ، فاذا هي كما أمل وارتجى ، فوجد فيها أمل الحب والاخلاص . فما عل قلبه الفنان اذا كان يطوف بالطبيعة حول كل جمال ليستحي ويستلهم اذا كانت محاسن المرأة هي رمز هذا الالهام وليس غاية يسعى اليها .

ولقد عرفت زوجه المتكاملة كيف تفهم رجل الفكر وترعاه في كل جوانب حياته ، حتى أمدته بذلك الهدوء النفسي المرجو لكل فنان ، ووفرت له وسائل الطمأنينة المنزلية ، وجعلته يعيش لفنه ورسالته لا يعكر عليه صفاء أي باعث من تلك البواعث التي كثيرا ما فراها فيما تحدته المرأة من مشاكل حياتها الخاصة مع اقترابها .

ان معاني الحب وجمال المرأة التي ألهمت الرافعي فنون كتاباته في مؤلفات عديدة لم تكن بالنسبة له الا طيف فن يسرح معه خياله في حين ، لينتج الروائع ليس أكثر . ونلمح هذا الصدق والایمان بالفن والفكرة في مثل واحد فقط من أقواله النابضة بالحياة .. يقول في مقدمته لكتابه « أوراق الورد » : « وتاريخ الحب عند صاحب هذه الرسائل كان كله نظرة أخذت تنمو وبقيت تنمو ، وهو حب قد كان من نعمته وجماله وطهره كأنما أزهرت به روضة من الرياض لا امرأة من النساء ، وكان من مساعده وحلاوته ولذاته البرينة كأنما أثمرت به شجرة خضراء تعتصر الخلاوة في أثمارها أصابع النور ... » هذا هو كل ما ينشده الرافعي .. دعوة الى التكامل الانساني وإلى تلك الفطرة التي أرادها لنا الخالق بالعيش في سلام وإخاء وحب ..

واليوم ذكرى وفاته الثلاثون تمر في صمت ، والدنيا غيرها أيام ما كان يعرفها ويتبرم بها . اليوم نستذكر عملاقا ومصلحا اجتماعيا ، مفكرا للأدب الاسلامي مضى بجسمه ، ونذكر ما قدم لهذا الأدب العظيم من روائع مثيرة ، ومن نفحات زاكية دافعت طويلا عن المثل العليا وعن أوضاع المجتمع الاسلامي الاصيل .. مجتمع الفضيلة والعزة والانسانية . هذا الى جانب ذخائره الغذة التي تفاعر بها المكتبة العربية في كل زمان ومكان . ذلكم هو الأديب بحق .. ألا وسلام من الله ورحمة منه نطلبها للرافعي في عالم الخلود ، في يوم ذكراه .

استدراك

سقط سهواً اسم الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ كاتب مقال «يوم الهجرة الخالد» الذي نشر في العدد الماضي محرم ١٣٨٧ . فتعذر لهذا السهو غير المقصود .



السرايا الحب

لشاعر محمد هارون المير

بنفي ، والفوى قدر صباح
أراه يضيء في قلبي غراما
ويوقظ من حب الشوق وحدا
هو السر الذي يبري جراحا
هذا القلب من بعد الكثر
يدق به البشير ، وما عليه
دم طهر بمارقه بشوق
هو السر الذي طوت الحبايا
وست الحية في العين برق
نماربه الحفون بلا مساء
ونحبه ، وما هو من خطاء
ومس في الشقاء يفيض بشرا
وما بك حين تخفي الوجد سر

سنا فيه إلى التعم الصباح
فصبي ، وهو في وري صباح
القلب هو مني صباح
به التيران قالة صباح
مشاعر تتلار ، وتنباح
إذا استأني ، وأفظه الطماح
ويظهره على الشوق الصباح
عليه ، وما يازعها الضاح
له لمع كما انلق الصباح
نمازحه ، وليس به مزاح
وليس لجوهر التجوى وشاح
ووسمة والنسبة فصاح
إذا أفضى عن السر البواح

اللعب بالألفاظ

بضم الدكتور زكي المحاسني

العصر الأموي ، لا يستطيع أن يهجم عليه اللفظ
ليشغل أصحابهما بنفسه ، حتى دلفت العصور
العباسية ، وحقق صناعة القلم العربي كتاب
من الفرس ، كان في طليعتهم اثنان أحدهما
أفضل من الآخر ، وأبقى أثرا في تاريخ الفكر
العربي ، وهما « أبو الفضل بن العميد » الذي
سعد بقاء شاعر العرب أبي الطيب المتنبي
حين جاءه مسترفدا بعد دعوة ملحة منه ، فمدحه ،
فعدّ المتنبي نفسه أنه يزور فيه أرسطاليس
والاسكندر المقدوني حين قال في قصيدة
مدحه :

من مبلغ الأعراب أنني بعدها
شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه
متملكا متبديا متحضرا

فكان ابن العميد من أكتب أدباء عصره
من العرب والعجم ، ولقد افترق
الفنون في النثر العربي ، وأدخل على الجمل
العربية الحرة ما يقيد بها من السجع المجذوب
المستكروه ، حتى كادت ديباجة كتاباته تكون
مثل طنفسة فارسية ذات وشي وزركشة من كل
جانب . وكان ابن العميد غزير المعارف إذا سافر
حمل معه مكتبة على دواب لتكون كتبه إلى جانبه
في كل مكان يحل فيه . وقد كتب رسائل كثيرة
كلها تلاعب لفظي وصناعة تركيبية تضجّ معانيها
الحسية في هياكلها الموحشة الخشبية . وقد شاع
فته هذا بين مواطنيه في ظلال حكم عضد الدولة
البويهبي ، وبالأجلال البغدادي حتى عرف
بسيد كتاب قومه ، وأحبّ أن يعث بأبي الطيب
نفسه ، فأخذ ينقد له شعره ، وقد قبل المتنبي
بنقده لكونه غريبا وفي بلده . وقد سايه . وهو
الذي كان يأبى أن يكون لأحد من البشر حكم
عليه حيث يقول :

تغرّب لا مستعظما غير نفسه
ولا قابلا إلا لخالفه حكما

واني لمن وراء العصور أعجب له ، كيف أساغ
نقد ابن العميد له وكيف اعترف له به
بقوله :

ما كفاني تقصير ما قلت فيه

عن علاه حتى ثناه انتقاده
وأما الثاني فهو دون ابن العميد في القدرة
الفكرية ، وهو « صاحب بن عباد » الذي حرم أدباء
عصره وبخاصة العرب منهم ، جوارحه الأدبية التي
كان يغريهم بها فيشدون إليه روحهم ويسرون
إليه عبر الصحاري في الليل والنهار ، فإذا صاروا

وانما ينبغي أن يفرد له كتاب ، لأن هذه الدراسة
لا تجدي إذا كانت مجردة لوجه الفن وحده ،
وانما هي ذات صلة بتاريخ الأمة ذاتها ، فحين
تكون الأمة في صولة مجدها وقدرتها الفكرية
والسياسية يكون أدبها سليما من الشوائب ، وتعبير
كتابها وشعراتها ملائما لمجدها المعاصر . وتنتي
تحدّرت القوى السياسية وتضعفت صولة
الحكم ، ظهر أثر ذلك في متوج الفكر وثمار
القلم ، فجفّ الفكر ، وأجذبت الأقلام .
وحيث تكون هذه الظاهرة في أدب أمة
فإن الصناعة اللفظية تبرز من مكانتها مثل أدواء
معنوية تصيب الفكر والقلم ، وتترّل بالأفهام إلى
درك وبيل .

ولا نستطيع أن نقول — كما لا يقول معنا أحد
من النقاد مهما يعنف بالنقد ويتبع الزلل في
التعبير — إن الكتابة العربية منذ كانت في أثرها
المشور والمنظوم قد خضعت للعوامل اللفظية .
فالقرآن الكريم يميّزه في بيانه الاعجازي العظيم
ما فيه من الجمال اللفظي الذي يخلع على المعاني
القدسية رونقا معجزا لا يستطيع القلم البشري أن
يجاريه مهما يبذل من الجهد والتقليد . وخضع
الشعر الجاهلي للجمال اللفظي أيضا . وكان اللفظ
ذا تأثير كبير فيه مع سلامة الكلفة والتصنيع .
ولقد ظل الميزان معتدلا بين النثر والشعر في مدى

اللعب صفة من صفات الانسان المرح
تولد معه ، وتكاد تكون من غرائزه
المقومة لنشأته . ويشاركه الحيوان باللعب ، وأكثر
الحيوان لعبا القروذ والسنابير . وقد يكون اللعب
بربنا كالذي يبدو من الأطفال بعد أن يدرجوا
من المهود .

وقد يلعب الكبار . وعرف تاريخ الانسان
لعب الكبار في الجاهلية والإسلام ؟ وفي تاريخ
كل أمة ، وكان هذا اللعب فيها عبثا . وفيه ما
يجدد همم أصحابه كاللعب الرياضي .
ويلعب الفكر ويلعب القلم . وما يأتيان في
هذا السيل قد يحمّد ، وقد يكون مصاحبا له
الذم .

واللعب بالألفاظ مقيت ، تنفر منه الأذواق
السليمة في التعبير وفي حياة البيان . ولم يكن هذا
اللعب محببا إلى النثر والشعر في أطوارهما من
الأدب العربي القديم حتى جاء القرن الرابع
للهجرة ، فأخذ اللعب بالألفاظ سبيله إلى البيان
العربي وفن التعبير ، حتى أطلق على النثر الذي
يتلعب به أصحابه ، وعلى الشعر المتكلف :
(الصناعة اللفظية) .

والقيام بدراسة مطولة لتطور النثر والشعر في
أدبنا العربي القديم والحديث وأثر اللفظ فيهما
يدعو إلى تشعب المناحي بما لا يتناهى مقال ،

طرائف

مسؤولية

نظر مدير البنك إلى الموظف الجديد ، وقال : إن المنصب الذي سأسندك إليك يحتاج إلى شخص مسؤول . فأجاب الموظف باقتدار : لن تجد يا سيدي شخصا مسؤولا مثلي ، فعندما كنت في عملي السابق كان كل خطأ يحدث يقولون أنني مسؤول عنه .

وسلم مهذب !!

يفخر الكثيرون من الفرنسيين بأنهم لا يحملون أي وسام من الأوسمة التي تمنحها دولتهم بسطاء ذات اليمين وذات الشمال . وقد اقترح بعض هؤلاء تخصيص وسام خاص يميزهم عن حملة الأوسمة .

يلعب مع شكسبير ..

عاد الإبن من المدرسة في ذلك اليوم ، وراح يوجه إلى أخيه عبارات غير مهذبة ... وامتعض الأب - وهو قروي - وأخذ يعنف ابنه على تفوهه بمثل هذه العبارات . فقال الصبي محتجا : ولكن شكسبير استخدم هذه الألفاظ نفسها ، فصاح الأب ثائرا : إذن ... فإني أمتك أن تلعب مع شكسبير هذا بعد اليوم ...

نشاط

قال صديق المحاضر له وهو يعجب لنشاطه المتزايد في لقاء المحاضرات يوميا في أنحاء البلاد : كيف تستطيع لقاء كل هذه المحاضرات بلا كلل ذهني أو تعب .

فرد عليه : إنني ألقى دائما المحاضرة نفسها .. فقال صديقه : لنفترض أن الناس جاءوا يسمعون محاضرتك الثانية ، فماذا يكون موقفك ؟

فقال : لا تخف ... إنهم لا يأتون ثانية .

حكيمته المشرقة وأنوار فكره الثاقب . وكان لألفاظه الفكرية والأدبية عالم خاص بها كما يبدو في ديوانه (لزوم ما لا يلزم) وفي كتابه (الفصول والغايات) . وكانت القوى اللفظية عنده ذات شحنات كهربائية تسيطر على المعاني ، فلا ينفك عنها . كالذي صنعه في « رسالة الغفران » . ولقد نحس ونحن نقرأ أبا العلاء ما يحس به المعجبون بالشاعر الكبير (بول فاليري) الذي يقول : « انني أهندس الكلام ، حين أكتب شعري » .

ومعنى قوله أنه يملك القدرة على الصناعة اللفظية ، حتى استطاع أن يغير مفاهيمها اللغوية في المعاجم . فالكلمة عنده لها معنى خاص يضيفه هو عليها ، كما صنع الصوفيون المسلمون في أدبنا العربي فجاءوا بألفاظ ليست قاموسية ، وإنما هي نتاج معاجم صوفية لم تكتب ولم تحصى حتى اليوم . ولم تجمع ألفاظها الاصطلاحية وتدرس دراسة لغوية خاصة . فما صنعه أبو العلاء ، لا يمكن أن يعد بحال من الأحوال - لعبا لفظيا ، لأن التلاعب بالألفاظ يحط من قدر المعنى . بينما نجد أبا العلاء يسمو بمعانيه سموه بألفاظه .

ولم يشجع الجاحظ أبو عثمان اللعب بالألفاظ ، كما ذهب بالرأي بعض دارسيه ، وإنما كان يقول بأن اللفظ يميز كاتباً عن كاتب . وبذلك نحا منحى الفكرة الخاصة بالأسلوب . وهو ذاته كما قال في العصور الأوربية المتأخرة العالم النباتي والأديب الفرنسي (بوفون) : « الأسلوب هو الرجل ! »

وشهد عصرنا ضرباً آخر في لعب الألفاظ ، وهو لغة الدبلوماسيين . فالخادق منهم يجري في تعابيره ألفاظاً مرنة حيناً ولزجة تارة أو مسترخية (مطوطة) أو متقلصة ، فيكون أشد لعباً بها من أحذق اللاعبين الانشائيين الذين كانوا إذا لعبوا بألفاظهم جعلوها تسلية أو ممارسة لطبيعة من طبائعهم الصادقة .

وكيف كان يدور الأمر في التعبير والفكر . فإن الخالق الذي أعطانا نعمة اللفظ مكسوا بروح الفكر ، أرادنا على استعماله سلماً من كل انحراف . ومتى عمد المتكلم أو الكاتب إلى أن يسيء التصرف بهذه النعمة - التي جعل الله بها الإنسان وفضله على الكائنات الأخرى ، فوهبه الكلام - بإدخال اللعب عليها ، وجعلها وسيلة بهلوانية . فقد عد نفسه في حلقة المهرجين ، لا الكتاب المفكرين ، والأدباء الموهوبين .

إليه حجبهم زماناً دون أن يسمح بمثلهم في مجلسه ، وإذا مدحوه غاب شعرهم وردهم بلا مكافأة ، وكان هذا ديدنه . ويحدثنا الكاتب الكبير « أبو حيان التوحيدي » عن التهاويل التي كابدها في كرازة صاحب بن عباد وقسوته على الشعراء والأدباء الذين كانوا يقصدونه مسترفدين ، وما صنعه به هو وكيف رده خائباً حتى انقلب إلى بغداد يؤلف في صاحب بن عباد كتاباً بمثاله .

وقد التقى المتنبي بالصاحب ، فدعاه الصاحب إلى مدحه ، فأجابه بقوله : لا أمدحك ولو شاطرني مالك كله ، لأنني لا أمدح إلا الملوك ! فحقد عليه الصاحب وألف كتاباً يعيب به شعره ، وضاع كتابه هذا بين سمع الأرض وبصرها . وبقي شعر المتنبي .

لقد كان الصاحب بن عباد من أشهر اللاعبين بالألفاظ العربية يصدرها سجعا مقينا ويعيدها رجعا بأساليب تفقدها كل روعة عربية في مؤداها الطبيعي . وكان اللعب بالألفاظ عند ابن العميد والصاحب فاتحة عصر للتدهور الانشائي في التعبير العربي المبين . ومن يدري ؟ فربما كان ما صنعه هذان الكاتبان الفارسيان وسيلة مقصودة « لتحطيم الترسل العربي والأسلوب البياني » الكريم . حتى جاءت عصور الانحطاط بزخرفها اللفظي وجمودها الفكري ، فانقلب التعبير العربي إلى صناعة محضة خاضعة لفنون البديع وأنواع البلاغات المقيتة التي قضت على الأسلوب العربي السليم ، وأعيد الاتهام بأن ابن العميد والصاحب أدخلوا الضمير على النثر العربي بالصناعة اللفظية المتكلفة ليقضيا على التراث العربي المكين في البيان الحر .

عصرنا الحديث ، يحرر ذبول اللعب وما بالألفاظ ، حتى استطاع القلم العربي بعد الحرب الكونية الأولى ثم الثانية أن يشعر بالحرية ويتنفس الراحة من ربة السجع والصناعات اللفظية . وقد نبغ في عصرنا من الكتاب المرسلين من لم يستطيعوا أن يفارقوا الجمال اللفظي ، فكانت آثارهم القلمية جليلة فنية غير مجفوة ولا نائية ، إذ كانوا يوازنون بين دوام الفكرة وجمال اللفظ دون أن يكون لاحد منهما على الآخر سلطان يمحو أثره ويذهب بروقه .

ولست بعد كل هذا أفوت أبا العلاء المعري الذي كان شيخاً كبيراً من شيوخ القدرة اللفظية في أدبنا العربي القديم ، شعره ونثره مع شمس



الناقلات الضخمة ، تحمل الزيت الخام ومنتجات البترول من رأس تنورة الى الأسواق العالمية . وتبدو هنا الناقلة العملاق ، « طوكيو مارو » لدى وصولها الى الجزيرة الاصطناعية لشحنها بالزيت الخام .

درجت شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) على اصدار تقرير سنوي يتضمن استعراضا تفصيليا لأهم الأعمال التي تم انجازها خلال العام . وبمناسبة صدور هذا التقرير تقدم القافلة فيما يلي موجزا لأبرز الأعمال والنشاطات التي قامت بها أرامكو خلال العام نفسه .

أعمال الزيت

إنتاج الزيت

سجلت شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) أرقاما عالية في إنتاج الزيت خلال عام ١٩٦٦ ، فقد بلغ مجموع ما أنتجته خلال ذلك العام ٨٧٣٣٤٩١٤٨ برميلا ، أي بزيادة ١٨ في المائة على ما أنتجته عام ١٩٦٥ . وفي ٣٠ أكتوبر من العام المنصرم بلغ مجموع ما أنتجته أرامكو من الزيت الخام منذ بدء أعمالها ثمانية بلايين برميل . وبذلك فقد احتلت المملكة العربية السعودية المرتبة الثالثة بين البلدان المنتجة للزيت في العالم الحر بعد الولايات المتحدة وفنزويلا ، والمرتبة الأولى بين الدول المنتجة للزيت في الشرق الأوسط . وبدأ الإنتاج من حقل أبي سعة ومنيفة المغمورين بالماء ، ومن الامتداد الشمالي لحقل القطيف على اليابسة . كما كانت الشركة قد أوشكت في أواخر العام على الانتهاء من اعداد جزء من حقل «البري» للمباشرة في الإنتاج .

وسجلت الشركة أرقاما عالية في عمليات حقن الغاز والماء في مكانين الزيت في حقول بقيق ، والنغوار والخرسانية للمحافظة على الضغط فيها . فقد بلغ معدل ما حقن من الماء غير الصالح للشرب في هذه الحقول الثلاثة ١١٠٢١٢٧ برميلا ، أي بزيادة ٣٠ في المائة على ما حقن عام ١٩٦٥ . كما زادت كميات الغاز التي

حقنت في حقل بقيق وفي منطقة عين دار بنسبة ٧٠ في المائة حتى وصلت ما متوسطه ٣٣٧٠٠٠٠٠٠ قدم مكعب في اليوم .

قدر الاحتياطي الثابت وجوده من الزيت في نهاية العام بنحو ٧٤٤٧٤٤ مليون برميل أي بزيادة اجمالية قدرها ١١٩١٠ ملايين برميل عن التقرير السابق .

بلغ عدد الناقلات التي أمت الفرضة البحرية في رأس تنورة خلال العام ٢٦٧٧ ناقلة حملت ما مجموعه ١٠٧٩١٣٦٤٦ براميل من الزيت الخام ومنتجات البترول . وفي ٢٤ ديسمبر من العام الفائت سجلت الفرضة البحرية رقما جديدا بشحن ٣٣٦٢٩٥١ برميلا في يوم واحد .

ولرفع الطاقة على الشحن واستقبال الناقلات الضخمة الحديثة ، أنشأت الشركة أول جزيرة اصطناعية لتسهيل عمليات الشحن في المياه العميقة ، كما أتمت بناء ثلاثة صهاريج للزيت الخام سعة كل منها ٥٠٠٠٠٠ برميل ، بالإضافة الى صهريج واحد للبوتان سعته ٢٠٠٠٠٠ برميل .

إنتاج غاز البترول السائل

بلغ متوسط ما شحن من غاز البترول السائل المبرد ١٥٣٥٦ برميلا في اليوم ، وهو رقم جديد تم تسجيله . وقد أقيمت مرافق اضافية لرفع الطاقة على استخلاص البروبان والبوتان وشحنهما ، الى ٣٧٥٠٠ برميل في اليوم قبل نهاية العام الجاري . ومن بين هذه المرافق عمود لازالة الايثان يزن ٢٣٨١٤٠ كيلوغراما . وقد تم نقل هذا العمود الضخم الذي يبلغ طوله ٣٠ مترا من فرضة رأس تنورة الى بقيق ، على عربتين قطر اطاراتهما نحو ثلاثة أمتار . وكذلك مد خط أنابيب ثان لنقل غاز البترول السائل المبرد الى الفرضة البحرية حتى يصبح في الامكان تحميل الناقلات بالبروبان والبوتان في آن واحد .

أعمال التكسير

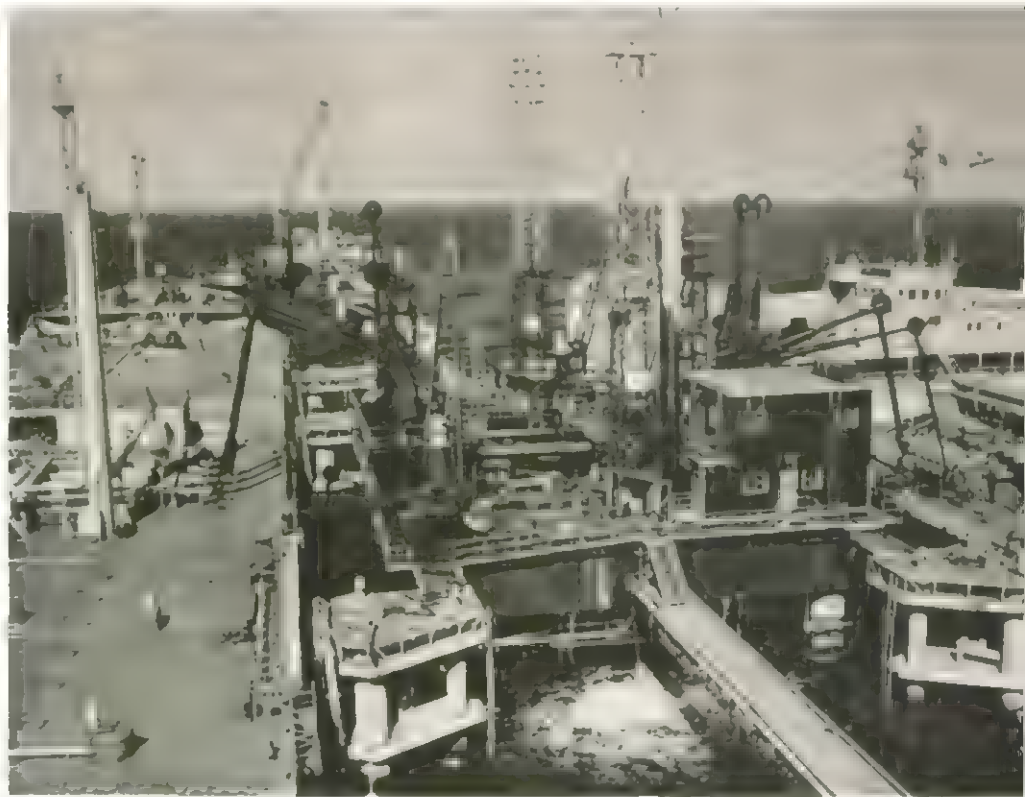
بلغ مجموع ما كرر في معمل التكسير برأس تنورة خلال العام ١١٨١٢٩٩٢٥ برميلا من الزيت الخام والنفثا ومادة البترول الأساسية التي يصنع منها غاز البترول السائل . وبلغ متوسط كمية الزيت المسال الى معمل التكسير ٣٢٣٦٤٤ برميلا في اليوم ، وفي ٢٢ أغسطس من العام نفسه



منظر جوي لساحة خزانات الزيت الخام التابعة للفرصة البحرية في رأس تنورة . ويبدو الى أقصى اليسار خزانات غاز البترول السائل الشبه كروية .



أحد الأجهزة الحاسبة الالكترونية التي يستخدمها
إذا كانت هناك تشكيلات أرضية تحوي زيتاً .



جانب من مرافق الحزيرة الاصطناعية التي في استطاعتها استقبال كبريات الناقلات في العالم .

سجل معمل التكرير رقما جديدا حين بلغ ما كُور فيه في ذلك اليوم ٣٦٧٨٨٥ برميلا .

فرق التنقيب تستخدم أساليب جديدة

استخدمت فرق التنقيب العاملة في الربع الخالي أول مجموعة تستوردها أرامكو من العربات المعدة خصيصا للسير على الرمال وعددها اثنتي عشرة عربة . وذلك في نقل الرجال والمعدات الخاصة بأعمال تسجيل الاهتزازات . وقد بلغ عدد الفرق التي تولت أعمال تسجيل الاهتزازات على اليابسة وفي المناطق المغمورة سنا ، أي بزيادة ثلاث فرق على الفرق التي عملت عام ١٩٦٥ .

ومن الأساليب الحديثة التي استخدمتها أرامكو في حقل التنقيب ، أجهزة حاسبة الكترونية يستعين بها الجيوفيزيائيون في



جيوفيزيائيو أرامكو للتوصل الى معلومات دقيقة لمعرفة ما

جمع معلومات دقيقة عن العلاقات بين مختلف الطبقات الصخرية على عمق آلاف الأقدام تحت سطح الأرض ، ومعرفة ما اذا كانت هناك تشكيلات تحتوي على الزيت .

محفرات تجريبية جديدة

قامت الشركة بحفر ثلاث آبار تجريبية خلال العام ، اثنتان منها في جهام والخفيسة ، وهما تقعان الى الشمال الغربي من خريص ، والثالثة في « جرييبعات » ، الواقعة بين النعيرية والوريفة في الشمال . بيد أن هذه الآبار الثلاث قد هجرت لعدم العثور على الزيت بكميات تجارية فيها .

وفي شهر ديسمبر من العام نفسه ، بوشر في حفر بئر تجريبية رابعة في « الكدن » بالجزء الشمالي الشرقي من الربع الخالي .

وقد نشرت مصلحة المساحة الجيولوجية الأمريكية بحثا فنيا في جيولوجيا الصخور الرسوبية في المملكة يقع في ١٧٧ صفحة . وتولت الانفاق على طبعه وزارة البترول والثروة المعدنية في الحكومة العربية السعودية . أما المعلومات التي شملها البحث فقد جمعتها أرامكو خلال فترة ناهزت ثلاثين عاما .

أرامكو وموظفوها

بلغ عدد موظفي أرامكو المنتظمين في المملكة في نهاية العام ١٢٦٦٤ موظفا ، منهم ٨١ في المائة من السعوديين ، و ١١ في المائة من الأمريكيين ، و ٨ في المائة من جنسيات أخرى .

وقد بلغ مجموع العوائد التي دفعتها الشركة الى الموظفين السعوديين وأفراد عائلاتهم خلال العام ١٠٩٧٠٨٧٠ ريالاسعوديا . وبلغت نسبة المشتركين في نظام الادخار من الموظفين السعوديين نحو ٩٧ في المائة . كما بلغ متوسط الدخل السنوي للموظفين السعوديين ١٢٧٥٨ ريالاسعوديا ، أي بزيادة ٨,٨ في المائة على ما كان عليه في عام ١٩٦٥ .

وقد بلغ ما أنفقته الشركة على علاج موظفيها وعائلاتهم وعلى برامج تطعيمهم ووقايتهم من الأمراض مبلغ ٥٤٤٥٠٠٠٠ ريال سعودي ، كما أنفقت مبلغ ٢٧٠٠٠٠٠ ريال على معالجة غيرهم من الأفراد .

٤٦٢ موظفا يتحاصرون على قروض البيوت

وبلغ عدد الموظفين السعوديين الذين اشترؤا أو بنوا بيوتا بقروض منحتهم الشركة اياها بموجب برنامج تملك البيوت خلال العام ٤٦٢ موظفا ، وبذلك بلغ مجموع عدد البيوت التي حصل عليها الموظفون منذ بداية هذا البرنامج حتى نهاية العام ٦٣٤٦ بيتا . أما مجموع القروض التي نالها الموظفون السعوديون فقد بلغ ٢٠٨٦٥٠٠٠٠ ريال سعودي ، سددوا منها ما مجموعه ٧٤١٦٩٠٠٠ ريال سعودي .

الموظفون السعوديون يتفانون ٥٦ في المائة من الوظائف الرئيسية والادارية

وقد بلغت نسبة الموظفين السعوديين الذين يعملون تحت اشراف رؤساء من بني وطنهم ٧٠ في المائة ، كما شغل الموظفون السعوديون ٥٦ في المائة من مجموع الوظائف الرئيسية والادارية في الشركة البالغ عددها ١٤١١ وظيفة .

عدد المدارس التي تحملت الشركة نفقات انشائها وتشغيلها وصيانتها ثلاثين مدرسة .

سهم في زيارة محاصيلهم

هذا وقد تمكن عدد كبير من مزارعي المنطقة الشرقية نتيجة للمساعدات التي تلقوها من خبراء أرامكو الزراعيين ، من بيع ما قيمته ٦٣٩٠٠٠٠ ريال سعودي من البيض والدواجن والخضر . وعلى أثر هذا التشجيع أصبح هناك مصدر يعول عليه في تزويد الشركة والمواطنين بالمنتجات الزراعية . وقد بلغ مجموع ما اشترته الشركة من المزارعين المحليين ١٣٦٠٨٠ كيلو غراما من الخضار .

الزيارات سمحت بمنتجات البترول

والزيت الخام راضل المملكة

لقد ساعدت المشاريع الانشائية ومشاريع توليد الكهرباء واستخدام الآلات في الزراعة وانشاء الطرق الحكومية ، على زيادة مبيعات منتجات البترول والزيت الخام والغاز الطبيعي داخل المملكة العربية السعودية بمقدار ٢٤ في المائة .

كما ان نشاط حركة انشاء الطرق أدى الى زيادة مبيعات الاسفلت الى نحو ٦٣٣٠٠٠ برميل خلال العام .



٦٠٢١٩٠٠٠٠ ريال سعودي ، مقابل ٥٢٨٧٥٩٠٠٠ ريال سعودي أنفقت في عام ١٩٦٥ .

كما بلغت قيمة مشتريات أرامكو من المؤسسات المحلية نحو ٢٣٥٩٩٨٠٠٠ ريال سعودي بالإضافة الى ١٠٥٧٩٩٥٠٠ ريال سعودي دفعتها لقاء شتى الخدمات كإقامة الصهاريج ومد خطوط الأنابيب وتقديم وسائل نقل الموظفين . وهذا يمثل زيادة بنسبة ٤٠ في المائة على ما أنفقته الشركة على الخدمات المحلية عام ١٩٦٥ .

خفضت أسعار الكهرباء في المنطقة

نتيجة للمساعدة المادية والفنية التي قدمتها أرامكو الى إحدى شركات الكهرباء الخاصة بموجب اتفاقية أبرمت معها كان أن خفضت أسعار الكهرباء بما يزيد على ١٥ في المائة للمستهلكين في الخبر والدمام والقطيف وسيهات وصفوى والمناطق المجاورة لها .

انفاق ... ٦٥٩١ ريال

على بركات التراموا

وقد تمكن فريق للابحاث يضم اخصائيين من أرامكو وجامعة « هارفرد » من اعداد مصل مضاد للتراخوما نجح جزئيا في منع الاصابة بهذا المرض مدة تصل الى ستة أشهر . ولا تزال الجهود تبذل في هذا المضمار لاطالة مدة فعالية هذا المصل . وقد بلغ ما أنفقته أرامكو على أبحاث التراخوما خلال السنوات العشر الفائتة بالتعاون مع جامعة « هارفرد » نحو ٦٥٩١٠٠٠ ريال .

بناء العنق عشرة قصور جديدة

قامت أرامكو بانشاء ست مدارس للبنين وست أخرى للبنات . وبذلك بلغ

لشركة بترول المملكة نفقات

استمر تدريب الموظفين السعوديين طوال العام داخل المملكة وخارجها . فقد بلغت نسبة الموظفين السعوديين الذين كانوا يدرسون موضوعات عالية في مراكز التدريب الصناعي هذا العام ٧٠ في المائة ، مقابل ٨ في المائة في عام ١٩٥٦ . كما ضمت صفوف المراكز والورش الخاصة بالتدريب الصناعي ١٩٠٠ موظف الحقوا بها لتلقي التدريب في أوقات العمل و ١٠٠٠ موظف التحقوا بها طوعية في غير أوقات العمل .

وقد ابتعثت الشركة خلال العام ١٩٦٣ موظفا سعوديا لتلقي العلم والتدريب خارج المملكة . كما عقدت دورة تدريبية في شؤون الادارة مدتها أربعون أسبوعا تناولت ٣٣ موضوعا عن مختلف أعمال أرامكو ، حضرها ١٣٠ موظفا من الرؤساء والمرشحين السعوديين لوظائف رئاسية .

أرامكو والبلد الذي تعمل فيه

أسهمت أرامكو في تقديم المشورات أو الدراسات الفنية والمساعدات المادية لمئات من الأفراد والمؤسسات السعودية استجابة لطلبات تقدموا بها لتقدير امكانات تسويق أنواع معينة من الخدمات أو المنتجات .

أرامكو وموقفها من اقتصاديات

حايوت ريال سعودي

وقد بلغ ما أنفقته أرامكو وموظفوها خلال العام في شراء بضائع محلية وخدمات ودفع ضرائب شخصية وغيرها من الأمور التي تستهدف المصلحة العامة ، نحو



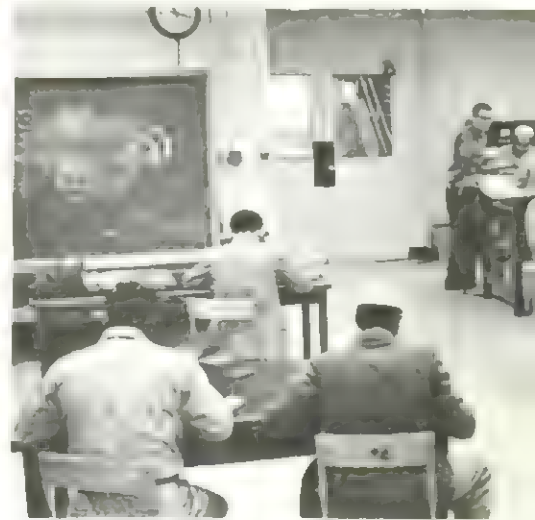
ساعدت محطات التجارب الزراعية في المنطقة الشرقية على تحسين المحاصيل الزراعية في المنطقة .
وتمثل هذه الصورة جانبا من محطة التجارب الزراعية في الهفوف .



يعرض موظفو أرامكو على استخدام وسائل السلامة
أثناء العمل .



أحد فصول ورش التدريب الصناعي في الظهران حيث
يتلقى بعض الموظفين السعوديين تدريباً عملياً على الرسم .



السيد سامي لبان (الى اليمين) من ادارة التنمية الصناعية المحلية في أرامكو يتدارس مع أحد مزارعي
بلدة سيهات بعض الأمور المتعلقة بتحسين تربية الدواجن في المنطقة .

أشعة «لار» الثاقبة

بفلم الدكتور قولر ساهلين

الأوساط العلمية والفنية أحاديث
شبكة عن فتح جديد في عالم
الاشعاع ، يتظر أن يحدث تطورات مهمة في
حقول المواصلات والصناعة والطب وغيرها . لقد
كان اهتمام مهندسي فن المواصلات، من نحو
نصف قرن ،متجها بكليته نحو توليد أشعة ضوئية
لها خواص الأمواج الراديوية في نقل الإشارات
عبر الفضاء ، لأن الأمواج الراديوية تحتل منطقة
ضيقة في الطيف الكهرومغناطيسي وهذا يحد في



بإمكان أشعة «لار» أن تعطل شبكة العين اذا ما نظر فيها الانسان مباشرة ولو للحظة واحدة . وتبدو أشعة لار في وسط الصورة وقد التقطتها آلة تصوير خاصة .

عملها . أما الأمواج الضوئية فإنها تحتل منطقة أوسع بكثير في ذلك الطيف ، لكنها تحتاج إلى تعديل حتى تصبح قابلة للتوجيه وذات أطوال متماثلة . والمعروف أن الضوء العادي يتألف من أمواج مختلفة في الطول ، من الحمراء إلى البنفسجية وهو ينبعث من الجسم المتوهج في جهات مختلفة . كانت الأبحاث تدور أولا في حقل تحسين مولدات الأمواج الراديوية ، وقد دعي الجهاز بالمازر « Maser » ، وترمز هذه اللفظة إلى عبارة انجليزية معناها بالعربية « تقوية الأمواج الدقيقة بقذف اشعاعي منه » . ومن هنا بدأت فكرة ابتكار جهاز ضوئي يولد الأمواج الضوئية المطلوبة ، فألقوا على هذا الجهاز اسم « لآزر » « Laser » وذلك بإبدال حرف بآخر ، هو الحرف الأول في كلمة « Light » أي الضوء .

يمكن العلماء من أحداث موجات راديوية قصيرة باستخدام جزيئات الأمونيا ، فهذه باهتزازاتها تولد أمواجا خاصة تستخدم في تقوية اشارات راديوية ضعيفة تأتيها من الفضاء . كل هذا لم يكن كافيا في نظر العلماء فاتجهت أفكارهم نحو التحكم بالأمواج الضوئية ، وتم لهم ذلك منذ ست سنوات ونيف لأول مرة . أما اليوم فإن نحو من خمسمائة مؤسسة في الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بدراسات واسعة في هذا المضمار نظرا لما يأمون تحقيقه بواسطة هذه الأشعة . ولنلق الآن نظرة على أول جهاز توصلوا بواسطته إلى التحكم في أشعة الضوء لتحل محل الأمواج الراديوية . كان ذلك بواسطة قطعة من الباقوت طولها نحو أربع سنتيمترات وقطرها نحو نصف سنتيمتر ، قد صقل طرفاها ووضعت بالقرب من مصباح الكتروني يعطي نورا منقطعاً . فعندما تشحن ذرات قطعة الباقوت بالطاقة الصادرة عن المصباح الإلكتروني ، تصبح هي بدورها قادرة على ارسال النور بالتعاون مع ذرات مجاورة ، فينبثق منها نور في اتجاه واحد له أمواج متماثلة ، يمكن توجيهه كما هي الحال في الأمواج الراديوية . اما النور هذا فإنه كان قويا للغاية ولدة جزء من ألفي جزء من الثانية . وهناك طريقة أخرى لتوليد أشعة لآزر وهي تفوق ما تقدم في نواح عديدة . هذه الطريقة تستخدم الغازات بدلا من البلورات . لقد أجريت تجارب عديدة بواسطة هذه الأشعة تظهر لأول وهلة أنها من ضروب الخيال . فالأشعة التي أرسلها العلماء عبر الفضاء في السنة الماضية ، عادت إلى الأرض بعد ثوان قليلة ، بعد أن أحدثت بقعة نيرة على سطح

القمر يبلغ قطرها نحو ثلاثة كيلومترات وعشري الكيلومتر . بالمقابلة مع هذا نجد أن أقوى الأضواء الكاشفة لا تتمكن من الوصول إلى القمر ، وان هي وصلت فإنها تحدث بقعة قطرها أربعون ألف كيلومتر .

في الفضاء أما على الأرض فقد حدث ما لا يقل روعة عما تقدم . إذ أنه في فترة جزئين من مليون جزء من الثانية تمكنت هذه الأشعة من ثقب قطعة من الألماس ، كما أنها بسرعة ودقة أحدثت ثقباً في قطعة فولاذية ، وتمكنت من لحام قطعة معدنية . وعلاوة على هذا ، نرى هذه الأشعة تدخل منطقة علم الجراحة فتأخذ محل مبضع الجراح وتفتك بخلايا خراج في العين . ومن أروع ما توصل اليه الأطباء في هذا الباب هو استعمال هذه الأشعة بجراحة العين فتوصلوا إلى لصق الشبكية المنفصلة بمدار العين الخلفي ، أو لحامها بتوجيه هذه الأشعة إلى نقطة معينة من الشبكية . كان الأطباء قد توصلوا إلى بعض هذه العمليات بواسطة مصابيح تبعث أشعة ضوئية قوية ، لكن هذا كان يستغرق نحو نصف ثانية ، بينما تستغرق العملية نفسها بواسطة أشعة لآزر أقل من جزء من ألف جزء من الثانية . ولما كان بإمكان هذه الأشعة أن تنفذ من خلال أنسجة الجسم ، صار الأطباء يؤمنون أن يعتمدوا عليها في عمليات جراحية متنوعة .

من أبرز ما ستحققه هذه الأشعة هو الانتقان في فن المواصلات ، إذ أن عمل الأمواج الراديوية محدود في نطاق معين وهو عشرة آلاف مليون تردد في الثانية . وعلى سبيل المثال سنأخذ قضية التلفزيون الملون ، وهذا يلزمه لكل قناة عشرة ملايين تردد في الثانية ، فيصبح عدد الأقنية مائة قناة لأننا لا نتمكن من استخدام أكثر من عشرة في المائة مما لدينا من تردد ليقى مجال للمواصلات التلفزيونية اللاسلكية . أما أشعة لآزر فإنها سترفع رقم التردد إلى مائة مليون بليون تردد في الثانية ، وهذا يفسح المجال للمليون محطة تلفزيونية ، تاركا مجالا معادلا للمواصلات التلفزيونية وغيرها . وسيصبح بالإمكان ، وهكذا يقول العلماء ، أن تحمل حمزة واحدة من هذه الأشعة ألف مليون محادثة هاتفية أو ألف برنامج تلفزيوني في الوقت نفسه . ولا ينحصر استخدام أشعة لآزر في الطب والمواصلات والصناعة ، بل أنه سيحدث تطورات مهمة في حقول أخرى عديدة . ففي عالم الكيمياء يعتقد أن هذه الأشعة تتمكن من التأثير على التفاعلات الكيميائية ، ذلك لأنها متماثلة الأمواج ،

وهذا يمكننا من حصرها في بقعة تعادل مقاييس أمواج الضوء . وفي حال كهذه يصير بالإمكان تركيز طاقة الأشعة بكاملها على خلية واحدة ، والقضاء على بعض الأنسجة المريضة . ولا شك أن التفاعلات الكيميائية تحتل مكانة ذات أهمية في حياة الإنسان والحيوان والنبات ، فأصبح التحكم فيها بواسطة هذه الأشعة أمراً خطيراً للغاية .

سوف نرى علماء الفيزياء جهوداً عظيمة لمعرفة ما إذا كانت سرعة الضوء تتأثر بحركة الأرض في الفضاء . وقد أثبت العالمان ميلكسون ومورلي بتجربة فريدة أن سرعة الضوء لا تتغير بسبب حركة الأرض ، وأن ليس هناك ما كانوا قد فرضوا وجوده قديماً كمادة تملأ الفراغ أي الأثير . ويقوم اليوم فئة من العلماء بإجراء تجربة بواسطة أشعة لآزر للثبوت من نتائج تجربة العالمين ميلكسون ومورلي ، وقد أعدوا لذلك مركزاً في جامعة ميشيغن في أميركا . أما الجهاز فإنه حساس للغاية وبإمكانه أن يكتشف فرقا في سرعة الضوء مقداره ثلاثة مليمترات في الثانية . وقد أظهرت النتائج الأولى أن الفرق ، إذا كان هناك فرق في سرعة الضوء ، هو أقل من هذا المقدار . وفي تجربة ميلكسون ومورلي كان مقدار الخطأ مائة وخمسين مليمتر في الثانية . وهناك تجارب أخرى قديمة سيعاد إجراؤها على ضوء هذه الأشعة الجديدة .

وبهذه المناسبة يحضرني ما روي عن أرخميدس أحد مشاهير علماء اليونان ، من أنه نصب مرايا على أبراج إحدى المدن اليونانية ، ووجهها إلى سفن العدو التي تحاصر مسقط رأسه لاحتراقها ، لكن هذه التجربة باءت بالفشل نظراً لضعف الحرارة الموجهة بواسطة المرايا . أما أشعة لآزر فيمكن تركيزها بشكل يجعلها مصدراً لحرارة قوية . فعلمية لها محرق طولها سنتيمتر واحد تتمكن من حصر الأشعة في بقعة قطرها جزء من مائة جزء من سنتيمتر ، أي مساحتها جزء من عشرة آلاف جزء من السنتيمتر المربع . وينتج عن ذلك طاقة مقدارها مائة مليون واط في السنتيمتر المربع . وهذا يكفي لإذابة أي جسم مهما كانت قدرته على عكس الضوء .

أمام العالم اليوم فتح جديد يمكنه من انتقان فن المواصلات والطب والصناعة وحقوق العلم المختلفة ، رائد العلماء في ذلك خير البشرية والكشف عما يوجد في الطبيعة من قوى يمكن سرجهما لخير البشرية جمعاء .

مفكراً موسوعياً ، ينتقل باستمرار من علم الى علم ، ومن موضوع الى موضوع ، دون أن يحصر نفسه في دائرة واحدة بعينها من دوائر المعرفة . ولقد أصاب مفكرنا الدكتور زكريا حين ناقش الوسط الاجتماعي الذي عاش فيه ابن حزم ، ومظاهر الاختلاط بين العناصر والسلالات ، ثم خالص الى سيرة الفيلسوف ، ومضى يناقش ما اعتاده مؤرخو سير الفلاسفة وما انحدر اليه نسب ابن حزم من أن جده الأكبر كان مولى ليزيد بن أبي سفيان ومن انه كان فارسياً نصرانياً ، ثم أسلم . نشأ ابن حزم في بيت أبيه نشأة المترفين المنعمين ، فلم يعرف في صباه ، كما قال الدكتور زكريا ، الحرمان أو الحاجة . فقد أحاطه أبوه بالرعاية التامة ، وفرض عليه الرقابة الشديدة ، واستقدم لتهذيبه وتنقيفه العلماء الأفذاذ ..

ويروي الدكتور زكريا أن ابن حزم قد تلقى تربيته الأولى على يد بعض النساء العالمات من أهل بيته ، ويؤيد حجته بقول ابن حزم في كتابه « طوق الحمامة في الألفة والآلاف » : « ولقد شاهدت النساء وربيت في حجورهن ، ونشأت بين أيديهن ، ولم أعرف غيرهن ، ولا جالست الرجال الا وأنا في حد الشباب .. وهن علمنني القرآن ، ورويتني كثيراً من الأشعار ، ودربتني على الخط » . يناقش الباحث في نصفة أثر هذه البيئة في حياة الفيلسوف ، وكيف عملت على إرفاق حسه وأشعال وجدانه .

واهتمام الدكتور زكريا بهذا الجانب من جوانب ابن حزم الكثيرة ، مرجعه الى تفرد الفيلسوف ذاته بهذا الجانب الحي في حياته ، وقبائه الفذة في هذا الميدان ، واهتمامه بالكثير من المسائل النفسية والحرص على فهم دوافع الناس الشعورية واللاشعورية . ولكن هل استوت الحياة لابن حزم ونظامها شامخها لأن يمضي الفيلسوف فيما وطن نفسه فيه واتخذة سبيلاً ومنهجاً ؟

الواقع ، ان حياة ابن حزم لم تسر سيرا طبيعياً عادياً ، بل تأثرت بما مر بصاحبها من أزمات وما عرض له ولأسرته من نكبات ... فرضت الحياة على ابن حزم الكثير من الرحلات الاضطرابية ، اذ اضطر الى مغادرة قرطبة على أثر الفتن التي قام بها البرابرة واتجه بعد ذلك الى المرية . وأقام فيها الى أن تنبه له حاكم المدينة . فسجنه ونفاه الى أن بلغه نبأ المناداة بعبد الرحمن بن محمد حاكماً على بلنسية . فركب اليها بحراً ، وأقام بها وصار وزيراً للمرتضى الى أن قتل هذا الأخير . عند ذلك عاد الفيلسوف الى قرطبة حيث كانت الخلافة للمستظهر قتل بعدها المستظهر وسجن هناك ، الى أن عفي عنه فخرج من قرطبة الى شاطبة . يقول الدكتور زكريا : « على الرغم من أن النفي والسجن قد ضيعا عليه الكثير من مكاسب الآباء ، كما حرماه من الاستقرار بموطنه الأصلي ، فان من المؤكد مع ذلك ، أن ابن حزم قد عاش طوال حياته ، موفور الرزق ، عريض الجاه » .

لكن واقع حياة ابن حزم وتنقلاته الكثيرة وسجنه ونفيه ، وغضب بعض السلطات عليه ، تحتم أن يعيش الفيلسوف حياة خشنة . على غير ما تعود ، بل هي قد ألمات فيه الكثير من التطلعات التي كان يصبو اليها ، وتتوق نفسه الى التحليق في أجوائها .

وليس عيب ابن حزم في طموحه ولا في تنقيفه ، وانما عيبه في التقلبات التي عاصرها ، والرياح الهوج التي اجتاحت حياته حيناً بعد حين ، بما كان يكنفها من حساد ، ويحيط بها من أعدان وخلان .

ابن حزم اللندلي

المفكر الظاهري الموسوعي

تأليف الدكتور زكريا ابراهيم

عرض وتعليق الأستاذ أبو طالب زيان

يعجب القارئ ، حين ألقى ضوءاً خافتاً أو أمسك بذبالة من هذا المصباح الذي سلطه الأستاذ الدكتور زكريا ابراهيم على علم من أعلام العرب البارزين في تاريخ العروبة والاسلام ، هو ابن حزم اللندلي المنطقي ، الجدلي ، المتكلم ، الفقيه ، المؤرخ ، الشاعر ، عالم النفس الكبير .

ولكن اذا عرف القارئ ، أنني بحكم عملي قد راجعت الكتاب ، وألمت بطرق اتجاهاته ، ومسالك دروبه ، لا يسعه الا الاتجاه نحو هذه الدراسة ، والغوص على لآلئها ، واكبار صاحبها الذي أعطانا سيرة حية تنبض روحاً ، وتفيض حياة .

كشف الأستاذ الدكتور زكريا ابراهيم في هذا الكتاب ، عن الاطار الحضاري الذي نشأ في كنفه ابن حزم ، وتربى في أحضانه ، وقضى الجانب الأكبر من حياته بين ظهرانيه ، وأرخ للفترة التي عاش فيها الفيلسوف ، وهي فترة انتقال من عهد الخلافة الأموية الى عهدحكم الطوائف . وألقى ضوءاً ساطعاً على تأثير ابن حزم بهذه التقلبات ، في تفكيره وأسلوب حياته ، وبخاصة ما اعتور بلاده من تقلبات وما اختلف عليها من أحداث .. والواقع ان ابن حزم كان ينتقل باستمرار بين ميادين الأدب والشعر والمنطق والفلسفة والكلام والفقه والحديث واللغة والتاريخ وعلم الانساب . ويقول الدكتور زكريا : « ان رحلات ابن حزم الاضطرابية والاختيارية ، قد انعكست على تفكيره ، فجعلت منه

وما وقع لهذا الفيلسوف الكبير في ميدان السياسة ، وقع له في ميدان الفقه لا سيما عندما رحل الى القيروان للدفاع عن مذهبه الظاهري ومجادلة الفقهاء والعلماء .

يقول الدكتور زكريا : « ان ابن حزم الذي تفرغ للدفاع عن الفقه الظاهري ، قد وجد نفسه مضطرا الى التنقل بين مدن الاندلس ، رغبة منه في نشر مذهبه واكتساب اتباع له . فكان يتنقل بين الشاطبة والمرية وقرطبة وبلنسية ، وكانت له معارك كلامية مع فقهاء تلك البلاد وعلمائها » .

ودون شك ، فقد وقف الدكتور زكريا من هذه الخصومات بين ابن حزم وفقهاء عصره موقف المحلل المنصف الذي أعطى لكل الطرفين حقه من الحجّة والقول والعدل .. « فحين اشتد الخصام بين ابن حزم وفقهاء عصره ، تألبوا عليه وضلّوه وطارده بدعايتهم من بلد الى بلد ، وشنعوا عليه في كل قاصية وذانية » .

أن ابن حزم ، لم يقف من هذه الخصومات موقفا سلبيا ، بل لقد رد لهم الجميل بمثله ، فكان لهم الصاع صاعين ، وشنها عليهم حربا عوانا ، لا هوادة فيها ولا رحمة ...

ولقد أخذ المؤلف نفسه في كل قضية يثيرها واقع ابن حزم في سيرته وحياته بالناقشة الحرة . والوقوف أمامه موقف العالم المنصف في كل ما يتناول من بحث أو نظر .. فالخصومة التي استهدف لها ابن حزم يعزوها بعض المؤرخين الى جرأته النادرة على المناداة بالمذهب الظاهري بينما قال غيرهم : ان تعصب ابن حزم للأمويين كان هو السبب المباشر لذلك الخصام الشديد الذي لقيه من جانب معاصريه ، في حين زعم آخرون : ان جهل ابن حزم بسياسة العلم ، وتطاوله على علماء عصره ، هو الذي ألب عليه قلوب الغالبية العظمى من الخاصة والعامة على السواء ...

والواقع أن الدكتور زكريا . قد وجد في هذا الصراع المستعر بين ابن حزم وفقهاء عصره ، فرصة للمناقشة ، والادلاء برأيه مع عدم الانحياز الى أي جانب من الجانبين ، حتى مع تلاميذ ابن حزم الذين عملوا على نشر مذهب أستاذهم حيا وميتا ..

على أن من أبرز الفضائل في هذا الكتاب ، ما سجله المؤلف لابن حزم من تواليف . مع الوقوف عند كل واحد من هذا الانتاج الواسع الغزير محلا وناقدا ومظهرا لرأيه في جرأة كما كان ابن حزم نفسه في كل ما كتب أو ناقش أو جادل ، لا يهمه غير اظهار رأيه والدفاع عنه . والاقناع به . فيصور ابن حزم بعقله الفلسفي ، ومنزلته في ميدان الثقافة فيقول : « نحن نجد لديه عقلية منطقية مرتبة تحسن تقديم المقترحات وانتاج النتائج ، وتفر من الحشو واللغو والاستطراد ، وتعرف كيف تسير في عرض موضوعها بطريقة منهجية منظمة ... »

ويعني الدكتور زكريا بأسلوب ابن حزم في مؤلفاته الأدبية وكتاباته العلمية ، ويلاحظ ملاحظة دقيقة على هذا الانتاج الذي خلفه الفيلسوف ، في اتسامه بالدقة والتنظيم .

ويعود المؤلف الى اظهار ميزة ابن حزم في كتاباته العلمية وحرصه على تحديد معاني الألفاظ ، تجنباً للشغب والالتباس في الجدل والتقاش ، كما فعل ذلك في كثير من كتبه ..

وقد سائر الدكتور زكريا ابن حزم مسaire علمية في عامل التوازن العاطفي أو توافق الطاقات الانفعالية . فابن حزم يتميز بمزاج حاد

عتيف ، وطبع عارم صارم وحين يناقش المؤلف هذا الفصل الذي ألم فيه بطائفة مما قيل في ابن حزم ، يفيض صراحة في الحق ، وصراحة في الدفاع ، وصلابة في مواجهة ما اعترض صديقه الفيلسوف ، وان كان يرجع ذلك الى الشجاعة النادرة التي كان يتحلى بها ابن حزم وضربه عرض الحائط بالمجاملة والرياء ، ولو أدى ذلك الى انصراف الناس عنه أو تألبهم عليه ..

على أن التواضع الذي صاحب الدكتور الباحث ، وهو يحلل شخصية ابن حزم الفقيه المؤرخ ، قد جعله ، يسائر صديقه المؤرخ على علاقته دون الوقوف أمام كثير من آرائه ويروج لها ويدعو اليها دفاعا عن مذهبه .

عثر المؤلف الفاضل على ابن حزم مؤرخا ممتازا ، اجتمعت له من صفات الصدق والضيطة والدقة وقوة الملاحظة وحسن الاستدلال ، ما كان كافيا لأن يجعل منه راوية أمينا ، ومحققا نزيها ، ومؤرخا واسع الأفق .

ويعلق الدكتور زكريا على أهمية ابن حزم كمؤرخ ، فيقول : « انه لا ينحصر فيما خلف لنا من مصنفات تاريخية ، بل هو يتجلى بصفة خاصة في المنهج الذي اصطنعه لدراسة أحداث التاريخ ، والحكم على وقائع عصره » .

ولا شك في أن الدكتور الباحث ، قد أراد أن يصانع صديقه ، ويسير الى جانبه في كل ما قال . اذ الواقع ، انه ليس لابن حزم منهج تاريخي يحتذى ، فهو تارة يميل الى ضغط الوقائع ، وتارة أخرى الى الاسهاب ، ومرة ثالثة يعينه الحكم على أحداث عصره ، برضاه عنها أو غضبه عليها ، ولا يصح في عرف المؤرخين الحكم على أي حدث من أحداث العصر دون التجرد من الهوى ونحن نعلم أن ابن حزم قد ناله الكثير ، وأصيب في نفسه وماله ومركزه ، وان كانت له نظرات تاريخية صائبة يرسلها بين الحين والحين في عبارات قصيرة تحمل صورة حية لتاريخ طويل .

ومن الأبواب النافعة في هذا الكتاب ، ذلك الباب الذي ناقش فيه الدكتور الباحث ، وضع ابن حزم في علم النفس ، وسلوكه هذا المسلك في حياته ، اعتمادا على وجهة نظره .. فأول ملاحظة في سلوك الفيلسوف في عداد علماء النفس هي رسالته في الألفة والألاف ، وهي رسالة من وجهة نظر الدكتور ، تتسم بالتسلسل المنطقي في العرض ، والترتيب المنهجي في الموضوع . ولكن مع الاعتذار لباحثنا الأكبر ، لست أشك في أن هذه الرسالة وغيرها مما كتب ابن حزم في موضوعها ما هي الا خطرات نفس عنت لأدب وشاعر . يريد أن ينفس عن نفسه المكروبة . وفؤاده المتنازع ، ولا سيما اذا عرفنا أن الفيلسوف تربى تربية مرفقة ، وعاش عيشة لاهية صاخبة في أحيان كثيرة .

وهناك ملاحظات أخرى ساقها الدكتور زكريا ، ليثبت بها ان ابن حزم أول من وضع المحاولات المبكرة في علم النفس ، ولكن الحق يقال . ما وجدت دراسة أعمق لعلم من أعلام العربية كهذه الدراسة . ولا تعصبا لعالم ضرب بسهم وافر في كل باب من أبواب العلم ، كهذه البحوث التي اشتمل عليها هذا الكتاب ، وان كنت أجهر بأن هذه هي الدراسة الأولى والأخيرة التي سد بها الدكتور زكريا ابراهيم هذه الثغرة الواسعة ، التي وقف على بابها علماء وباحثون في الشرق والغرب دون أن يصلوا جميعا الى ما وصل اليه الدكتور المؤلف في هذا الكتاب .

مسرود الحقائق التاريخية من جلال الحقوس

طبع في مطبعه دار الفنون



تتميز التاريخ الحديث الينا بكثير من الثقة والاعتزاز في اعتماده على المصادر الأصلية سواء المادية منها أو الروائية أو القلمية . إلا أننا حين نوجه إلى أنفسنا سؤالا عن أي المصادر أصدق أو أيها أقرب إلى الصواب ، فإننا نميل إلى أن نستخلص ما جاء منها عفوا عن تلك العصور ، ألا وهي المصادر التلقائية . وقلنا عنها تلقائية يدل على أنها جاءت دون أن يقصد بها خدمة قضية مسبقة . فإن أشأتنا من الأمور في حياة تلك العصور قد جاءت الينا على هذا النحو اعتمادا على ما درسناه عنها دون أن نكلف أنفسنا بالتحرر عن مدى صحتها أو مدى صدقها في تصوير ذلك العصر .

ويبدو من هذا أننا حين نبحث عن تاريخ أمة من الأمم أو عصر من العصور فإننا منذ البداية نحاول أن نلمس طريقا للمصادر التلقائية غير المباشرة لكي نستقي منها المعلومات الأصلية التي لا تدخل فيها الأهواء ولا العواطف ، لأنها جاءت عفوية دون أن يقصد بها أصحابها خدمة التاريخ في المستقبل . وقد تكون تلك المصادر ، على سبيل المثال ، الملابس التي كانوا يرتدونها أو الأدوات اليومية التي كانوا يستعملونها أو ما شابه ذلك . فحين نعر في إحدى الحفريات على أمثال تلك الأشياء ونوصل إلى تاريخها بطريقة ما ، فإننا نصل إلى حقيقة تاريخية أصلية لا يمكن الطعن فيها ولا التجريح . ولهذا فإن المصدر سوف تكون أصالته نهائية .

على أن المصادر التاريخية ليست مصادر تلقائية عفوية في جميع الحالات ، فقد نعر على نقوش معينة وكتابات حجرية قصد بها أن تحمل تلك الذكري عبر العصور ، وإن تخلف ذلك الأثر حتى لا يضيع ، وإن تبقى ذكرى قوية لن تمحى . وفي هذه الحالة فإننا نعتبر ذلك الأثر مصدرا تاريخيا مباشرا وأثرا حقيقيا قصد به خدمة التاريخ في المستقبل أو الأمم القادمة ، فعلينا إذا كمؤرخين أن نطيل النظر إلى تلك النقوش على أنها مشاكل تحتاج إلى حلول وعلى أنها مصادر تستلزم التأكد من أصالتها . فلا بد حينذاك من القاء الضوء عليها من ناحيتين : الأولى وهي عملية النقد الخارجي لهذا الأثر حيث ندرس فيه المادة المكتوبة عليها وهل هي جيرية أم حجرية ، وما نوع المادة وحجمها ودرجة قدمها ومدى تعرضها للعوامل الزمنية ، وهل أثر ذلك في مادتها ، وما هو تقدير ذلك الأثر لمعرفة السنين التي مرت عليها . ومن خلال هذه التساؤلات والتحريات نستطيع أن نقرب قليلا

من العصر الذي تعود إليه تلك النقوش . كما أننا نحاول أن نعرف على طريقة الكتابة والمادة المكتوبة بها ، وهل هي محفورة أو بارزة . ثم نتعرض لطريقة الحروف ونموذج الكتابة ونحاول تطبيقه على تطور الحروف خلال العصور حتى نصل إلى معرفة أي العصور استخدمت فيها هذه الحروف وذلك بمقارنتها بتطور الحروف الأبجدية خلال العصور المختلفة .

الناحية الثانية فهي عملية النقد الداخلي ، ويراد بها القاء الضوء على المادة المكتوبة - ما هي ، ولماذا وكيف ؟ فمن سبيل هذا الاستقصاء نستطيع أن نتحقق من التاريخ والخبر الذي جاء في النقش ، ونقارن بينهما بدراسة تاريخية مستمدة من المصادر القلمية الأساسية حتى نصل إلى حقيقة النقش الذي عثرنا عليه ونتأكد من مدى أصالته . وقد يعتقد البعض أن هذه المقارنات التاريخية سهلة وبسيطة غير أنها في الواقع عملية صعبة تحتاج إلى تركيز كبير ودراسة نقدية شكية تستغرق وقتا طويلا ومجهودا ضخما . ولتذكر على سبيل المثال النقش الذي اكتشف في جبل «رم» بالأردن أثناء قيام بعض المستشرقين بالبحث عن النقوش في تلك المنطقة ، وخاصة «هورسفيلد» الذي قام سنة ١٩٣١ بهذه الجولة فاكشف على رأس جبل رم منطقة أثرية خصبة تبعد ٢٥ كيلومترا شرقي مدينة العقبة . ويرجع تاريخ هذا النقش إلى سنة ٣٥٠ م . وقد تعاون العالم الأثري هورسفيلد هذا مع العالم «سابيناك»

في وصف تلك النقوش المهمة ، ثم تناول العالم «هيوبرت جريمن» حل رموزها وتعرف إلى تواريخها بالتقريب .

على أن تلك الدراسات قد أخذت من العلماء وقتا طويلا بين الجدل والمناقشة حتى تمكنوا من وضع صيغة أقرب إلى الحقيقة الكلية . ومن هنا نستطيع أن نعرض للمثال الذي أوردناه ، فالنقش عبارة عن كتابتين ، إحداهما عربية والأخرى ثمودية ، إلا أن العربية - كما يبدو من النقش - كتبت قبل الثمودية . والكتابة العربية تقول :

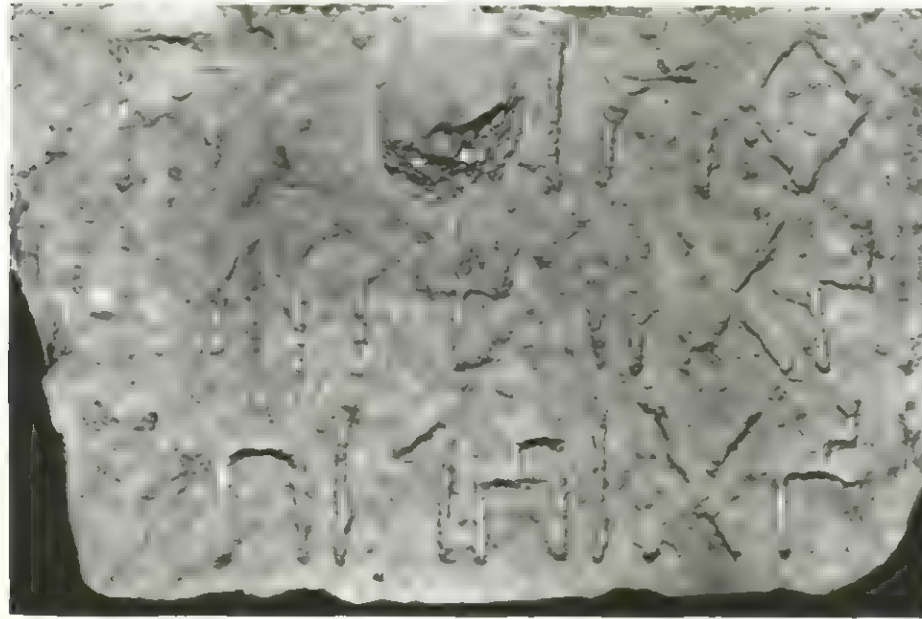
١- وبر عليو كليصي

٢- بر هبارل (ك)

٣- حنيني بر المزلمله سطرعوك (تب)

وان الصعوبة في مثل هذه النقوش تتمثل في تقرير بعض الكلمات التي وردت في النصوص والتي تأخذ وقتا طويلا من الدراسة والتحليل حتى يوضع النص النهائي للنقش بحيث يتلاءم مع المعنى العام له . وربما اجتمع عدد من العلماء وقتا طويلا لمناقشة حرف من كلمة أو كلمة من نص . وهكذا فإن بعض الحقائق تتطلب مجهودا كبيرا في سبيل التحقق من أصالتها .

أما إذا أردنا أن نصف الصعوبة الكبيرة التي يتعرض لها المؤرخون أثناء تحقيق النص تاريخيا فإننا نذكر نقشا لسد وجد في مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية وهو أقدم نقش تاريخي مؤرخ في الحجاز ويحمل اسما لخليفة اسلامي .



صخرة أثرية أخرى يرجع عهدها إلى ما قبل حوالي ٢٠٠٠ سنة ، اكتشفت في القطيف . وهي شاهد قبر مكتوب عليه بخط عربي قديم يعرف «بالمسد» .

ومكتشف هذا النقش هو كارل تويتشل سنة ١٩٤٥ ، وهو مهندس أمريكي كان يعمل في (مهد الذهب) ، وفي أثناء إحدى جولاته باحثا عن المصادر المعدنية تمكن من العثور على هذا النقش على مسافة تقرب من ٣٢ كيلومترا شرقي مدينة الطائف حيث عثر على خزان يتراوح ارتفاعه بين ٢٥ و ٣٠ قدما فوق سطح الأرض . مبني بكتل صخرية كبيرة ، وهو مؤرخ بسنة ٥٨ هجرية .

وكتابته جاءت على النحو التالي :

- ١ - هذا السد لعبد الله معويه
 - ٢ - امير المؤمنين بنيه عبد الله بن صخر
 - ٣ - بإذن الله لسنة ثمان وخمسين
 - ٤ - اللهم اغفر لعبد الله معويه
 - ٥ - مير المؤمنين وثبته وانصره ومنع
 - ٦ - المؤمنين به وكتب عمر به حجاب
- إلا أن الاختلاف التاريخي الذي لازم هذا النقش في تحقيقه كان يدور حول الأشخاص

الذين ذكروا فيه وحول الدراسة التاريخية المقارنة في المراجع والمصادر الأخرى . فالأمر الذي لا نستطيع انكاره هو أن الذي أمر ببناء السد هو عبد الله معاوية وهو الخليفة معاوية الذي تولى الخلافة في تلك الحقبة حتى وفاته سنة ٦٠ هـ ، ولهذا فإن تاريخ النقش لا يتعارض مع وجود معاوية كخليفة للمسلمين . أما (عبد الله) فهي كنيته التي كانت تلازم الكتابات التي تصدر عنه أيضا .

أن المشكلة التي يمكن لنا أن نبرزها في هذا النقش لتحقيقه تاريخيا ، هو الجدل حول باني هذا السد وهو (عبد الله ابن صخر) فمن هو ابن صخر هذا ؟ لقد اختلفت مصادر التاريخ حوله ، فمنهم من قال بأنه شقيق معاوية - إذ كانوا يسمون أبا سفيان صخرًا - ومنهم من قال بأنه عبد الله بن صخر القرشي . ولكن عصر هذا كان متأخرا . وبذهب البعض إلى أنه أبو هريرة الراوية المشهور . ولكن

الاعتراضات على هذا الرأي كثيرة . إلا أن احتمالا رابعا قد بقي ، وهو عبد الله بن صخر الذي صاحب موسى بن نصير في فتوحاته . غير أن أحدا من هؤلاء لا تنطبق سيرته على ما ذكر في النقش بحيث نستطيع الجزم بأنه هو الشخص المنشود . أما غير هؤلاء فلم تذكر المصادر العربية عن عبد الله صخر شيئا آخر .

وهكذا فإن الأمر قد بقي معلقا تجاه هذه المسألة أو هذه القضية وهو التحقيق الوافي عن شخصية هذا الرجل ومن يكون ؟ وربما يستطيع التاريخ أن يجد في صفحاته المطوية في المخطوطات شيئا عن هذا الرجل .

وخلاصة القول أن الوصول إلى الحقائق التاريخية من خلال النقوش يمثل صعوبة جمة تحتاج إلى عديد من العمليات النقدية ، وتستلزم الاستعانة بكثير من العلوم المساعدة للدراسات التاريخية . وبعد ذلك نستطيع أن نستخلص منها حقائق ثابتة تشارك في كتابة التاريخ .



جبل «رم» من الأماكن الأثرية في الأردن . وقد عثر فيه على نقش يرجع تاريخه الى سنة ٣٥٠ م .

حَفَاؤُ النَفْسِ

للشاعر محمد إبراهيم مدع

الحب في الانسان يرفعه إلى دنيا السرور
وتفيض منه روائع الأنس المحبب والنضير
ويرى الحياة بشرها ويرى مجالات الجور
ويرى النفوس اخوة بنى وتصنع في الدهور
وهنا المعالي مشرقاات القصد في حلم مثير

° ° °

والبغض يدفع للكآبة ما شكوت من الأمور
ويريك هذا الكون سجنًا في الأصيل وفي البكور
وتظن سرا بالوجود بما حملت من النور
لا بل خلقت لكي تمتع بالمحاسن في الشعور
وجمال هذا الكون في دنيا المحبة والسرور
وبهمة الأحلام تسبح في الخواطر والصدور
وكان هذا الحسن ينسبك المتاعب والشرور

° ° °

فابسم لهذا الكون لا تنظر بمنظار صغير
وانعم بكل مظاهر جاءت مع الكون الكبير
واسعد فإن السعد آمال وأحلام تنير
وامرح بحبك في الحياة تنل بها الخير الكثير

° ° °

فالأرض أرحب للنفوس وإن تعقدت الأمور
فيها المقاتن ما تأملت المباحج في حور
فيها صفاء النفس للهن الأصيل مدى العصور
فيها انطلاق النفس من هم ثقيل مستطير

مفهوم السعادة الزوجية

بفلم البيرة رنية راشد

عن كيان الأسرة ، وبقائها واستمرار وجودها .
وان أمقت ما يكرهه الرجل في الزوجة أن تكون
كثيرة الثروة تجادل بالباطل ، ولا تعترف بالحق ،
مهما كان واضحاً كوجه النهار . وان مما يحبه
الرجل في زوجته أن تكون مدبرة مقتصدة فإن
الأزواج ينفرون من الزوجة المسرفة التي لا ترعى
لزوجها ماله ولا تقدر جهوده ، ولا تحافظ على
بيته . لأن الإسراف قد يدعو إلى الإستدانة ، والدين
ذل بالنهار وهم بالليل وقد يؤدي إلى تقويض
دعائم الأسرة ، وتحطيم كيانها .

والزوجة المدبرة هي التي تدخر القرش الأبيض
لليوم الأسود ، فلا تنفق إلا في حدود ميزانية
زوجها ولا تشتري الأشياء الباهظة الثمن مقلدة
بذلك من هن أكثر منها ثراء ، لأن التقليد الأعمى
يجر إلى أسوأ النتائج وأردأ العواقب ..

والمرأة الحريصة هي من تجعل بيتها
جنة حتى لا يفر منه الزوج إلى
المقهى أو إلى أي مكان آخر . وإذا حدث
أن خرج لقضاء بعض شؤونه فلا تظهر الإستياء ،
وعليها أن تشغل وقتها لعمل نافع أو هواية ،
وعند عودته تلقاه بأشدة هادئة وتقدم له ما
يشتهي من طعام أو شراب .

والزوجة الحسيفة هي التي تتجاوب مع رغبات
زوجها وميوله فلا تعترض على قراءته الكتب والصحف
مثلاً . فالقراءة ضرورة من ضروريات الحياة . وهي
والحالة هذه ان لم تستطع مشاركته لا تنغص عليه
أوقاته وتفسح له متسعاً للمزيد من المعرفة والتقدم .
والرجوع إلى الحق فضيلة . وما أجمل الاعتذار
عن خطأ وما أبحح الإصرار عليه . فالاعتذار من
الأمر الداعية إلى استمرار الحياة الزوجية في
صورة كريمة ثابتة الدعائم . وهناك قصص كثيرة
كان فيها الإصرار على الخطأ محور رحي الخلاف
والاعتذار رسول سلام ووثام . وتحضرني الآن
القصة التالية كمثال على فعل الاعتذار في نفوس
الرجال .

تزوج شاب فتاة جميلة فأحبها حبا جما ثم
توفيت بعد سنتين من زواجهما ، ف شعر لفقدانها
بالغم والحزن بشكل عظيم ، ورفض عروض
الزواج لمدة طويلة . وأخيراً قبل الاقتران بفتاة من
أسرة كريمة ، لكنها كانت عارية من الجمال
بالمقارنة إلى زوجته الأولى حتى سماها بعض الناس
«دميمة» . ولم تكن دميمة حقاً لكنها بالمقارنة
إلى زوجته الأولى يمكن أن تدعى عارية من
الجمال ، وقد توقعت بأنها ربما ستفشل في أن
تستأثر بقلب زوجها ، لكن الأيام أثبتت عكس ذلك .

والسعادة الضائعة عادة نادراً ما تسترد . ولذلك فقد
أفلس هذا الشاب ومات قهراً بسبب افلاسه .

ولم يبق لها في هذا العالم غير ابنها الطفل
الذي كبر فعلمته ثم حصلت له على عمل في
الجيش . وذات يوم قالت له أنها ليست مستعدة
لأعطائه أي مبلغ من المال وأن والده لم يترك لها
مالاً . والغريب ان هذه المرأة الأنانية جردت ثلاثة
أزواج من كل ثرواتهم وحرمت ابنها من الانتفاع
بمالها طول حياتها . . . ولكن ابنها هذا الذي حرمت
من ملاينها طوال حياتها كان هو الوارث الوحيد
لها ، فتسلم ثروتها وعاش حياة ناعمة بعدها .

هؤلاء الذين يحبون المال لا يدركون
أنهم لا يستطيعون حمله إلى القبر بينما
هم بسلوكهم هذا كثيراً ما يغرسون الكراهية في
قلوب الغير .

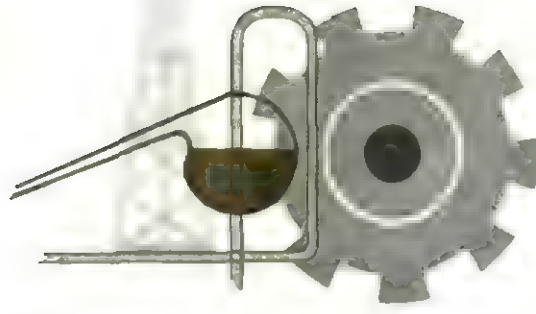
فعلى المرأة في مجتمعنا ، إلى جانب نكران
الذات أن تحرص على سمعة زوجها ، وأن تعمل
جاهدة على الحفاظ عليها لأن أي شيء يشينها
يهوي بمركز الأسرة إلى الخضم . ويجب أن
تعلم المرأة أن الرجل ليس انساناً كامل الصفات ،
خالياً من العيوب ، والنقائص ، فإن الكمال لله
وحده . . . فلتنس دائماً الإساءة ولتتعلم التسامح
والصفح لأن التسامح والصفح يؤديان إلى صفاء
القلوب وبقاوة النفوس وارتباطها برابط قوي متين
وعروة وثقى لا تنفصم . فالمرأة اللبقة هي التي لا
تحقد على زوجها إذا أساء ، إنما تعاتبه غتاباً يسيراً
وفي الوقت المناسب ، لأن مشكلات الحياة كثيراً
ما تسبب له الضيق وهو معرض لها في سبيل مسؤوليته

الاشارة ان في الزواج تضحية من الطرفين
وانكار للذات من الزوجين ، وكل

معنى للحياة الزوجية يخرج عن هذا المفهوم وهذه
المقاييس لا يؤدي إلى السعادة بأي حال من
الأحوال . هذه السعادة التي يتطلع إليها كل فرد
مع شريك حياته حتى يجني ثمار الحب والحياة
الرغيدة ، ويصبح بيته عشا هادئاً هائلاً ينشأ فيه
الصغار في جو من الألفة والمحبة والمودة والاخاء .
قرأت ذات مرة قضية امرأة وصفها المؤلف
بأنها أوضع امرأة في العالم لأنانياتها .

عاشت هذه المرأة طوال حياتها لتجتمع ما
استطاعت من مال ، وقد كانت جميلة شغف
بها كثير من الرجال ، لكنها رفضت أن تتزوج
أحداً إلا إذا كان غنياً وأن يهبها أمواله ، فكان
نصيبها الأول رجلاً قد جاوز الثمانين من عمره .
وبناء على شرطها فقد أهداها كل ممتلكاته ، وبعد
عام أو عامين مات هذا الزوج وبعدها تزوجت
عجوزاً آخر وهو بدوره قد أهداها كل ممتلكاته
ومات بعد الزواج بقليل . حيثئذ فكرت هذه أن
تتزوج من شاب فاخترته من رجال الأعمال .
ونقل هذا الرجل أيضاً ثروته باسم الزوجة الشابة ، وتحققاً
لوعده فقد كتب باسمها كل رأس ماله في
البورصة ، وقد أنجبت منه ابناً . . .

وحدث ذات يوم أن حلت بهذا الشاب كارثة
مالية بالغة بحيث أنه لم يستطع أن يسدد ما هو
مطلوب منه فالتجأ إلى زوجته لتسلفه ، فأبت
عليه ذلك . ورفضت طلبه بصراحة وتركته سمعة
زوجها التجارية تنهار في سوق الأسهم المالية ،



هل مرج جديد؟

مبضع ماسي لجراحة العين

وحدة «انجستروم» ، بينما يبلغ عرض كرية واحدة من كريات الدم الحمراء ٨٠.٠٠٠ وحدة انجستروم . (وحدة الانجستروم تعادل جزء من عشرة بلايين جزء من المتر). ومن ميزات هذا المبضع الماسي الفائق الحدة ، أنه من الدقة بحيث يتسنى للطبيب الجراح أن يقطع به شعرة لا يتعدى طولها ١٥ مليمترا إلى حوالي مليون قطعة . وعلى الرغم من هذه الميزات والحسنات التي يتسم بها هذا المبضع الحاد ، إلا أن طريقة استخدامه تستدعي عناية بالغة للغاية .

هذا ، وقد ابتكر الدكتور «دافيز درهام» بالإضافة إلى المبضع الآنف الذكر ، حلقة مفرغة تساعد الطبيب الجراح على تثبيت العين وتركيز المشرط تركيزا صحيحا خلال قيامه بعملية نقل القرنية وزرعها .

جهاز صغير لمقاومة الشيخوخة

الشيخوخة ، من العضلات التي جابها رجال العلم وشحذت جهودهم ردحاً من الزمن. بيد أن هذه الجهود والأبحاث التي قام بها هؤلاء حيال هذه العضلة ، قد أثمرت مؤخراً في جهاز صغير حساس توصل إلى ابتكاره عالم بريطاني ، وهو عبارة عن طابة صغيرة يعلقها المرء المصاب بالشيخوخة حول ظهره أثناء النوم .

وفي حال حدوث الشيخوخة ، وهو غالباً ما يحدث عند النوم على الظهر ، ينطلق من الجهاز صغير ينذر النائم بتعديل وضع نومه على أحد الجانبين . وهكذا يظل الجهاز يطلق صفيره إلى أن يعود المرء النوم على أحد جانبيه بدلاً من النوم على ظهره .

جراحة العين كانت وما زالت تعتبر من أخطر العمليات الجراحية التي يجابها الجراحون . غير أن تطور العلم والاختراع يستر لأطباء العيون اليوم أجهزة وأدوات دقيقة غدت خير معوان لهم في التحكم في أجزاء العين الداخلية وخلاياها العصبية الحساسة ، واستطاعوا بفضلها أن يعيدوا البصر لأناس كان بينهم وبين فقدان نظرهم قاب قوسين أو أدنى .

ومن بين هذه الأدوات الحديثة التي توصل العلماء إلى ابتكارها مؤخراً مبضع مصنوع من الماس ذو طرف غاية في الحدة ، سيسهل على أطباء جراحة العيون مهمة القيام بعملية اعتمام عدسة العين ونقل القرنية .

ويعتبر هذا المبضع الذي قام بتصميمه الدكتور «دافيز درهام» حدثاً مهماً في طب العيون . ويبلغ سمك طرفه القاطع نحو ١٠٠



مرة جالسة مع زوج هذه الفتاة كنت عندما قال لي إن الناس يعطفون عليه حيث أنه فقد زوجته الأولى الجميلة وتزوج من فتاة دميعة نسبياً ، لكنه صرح بأنه سعيد جداً بزواجه الأخير لأن هذه الزوجة الثانية قد جعلت حياته أكثر سعادة وأحلى طعماً . وصفته الميزة العظيمة هي أنها لا تغضبه مطلقاً . فسألته : « ألا تتخاصمان البتة فأنتما بشر قبل كل شيء ؟ » فصمت بعض الوقت ثم قال : « لا شك في ذلك ، ولكن تصرف زوجتي الحكيم باعتذارها سواء أكانت مخبطة أم مصيبة يزيل الشوائب من مجرى حياتنا ويبعد المياه إلى مجاريها ، فكثيراً ما كنت أعود إلى البيت فأجد دائماً على مكنتي رسالتها تعبر عن اعتذارها . وبتصرفها الطيب هذا تجعلني أشعر بأسف شديد على تصرفي . وكانت نتيجة موقفها هذا أنه لم تعد هناك مشاجرات في الأسرة . . »

هذا مثال حي لسلوب زوجة حكيمة بنست بتصرفها بيتاً سعيداً لها ولزوجها وضربت بذلك مثلاً رائعاً للأخريات . فكثير من الأسر تنهار بسبب تثبيت الزوج والزوجة أو كليهما برأيه بعد منازعتهم ورفضهما باصرار معرفة دورهما في النزاع .

وقد صادفتني حالة كهذه وهي كما يلي : حدث أن امرأة جميلة تزوجت أرملاً . وكان موقفها من زوجها موقف المتعاطف المتعجرف . وحدث مرة أن تشاجرت معه فزجرها بعنف مما جعلها تفر من بيتها وتلجأ إلى بيتي كصديقة قديمة لها ، ففتحت لها قلبي . وبعد سماع قصتها سألتها إن كانت تستطيع معرفة دورها في المشاجرة ، فصمتت بعض الوقت وحينئذ لاحت لها الحقيقة فقالت : « اني أسفة لأنني لم أقل له انني أنا المخطئة . » فسألتها : « هل ترين الآن أنك كنت على خطأ ؟ » قالت : « في حالتي الحالية الهادئة أرى أنني زدت من حدة النزاع . »

حينئذ قلت لها : « هل تستطيعين أن تعبري عن مثل هذه المشاعر لزوجك ؟ » قالت : « أهل أنت متأكدة بأنه سيرضى ؟ » قلت : « نعم » .

قالت : « اذن اني ذاهبة . » وبالفعل نفذت وعدها . . وقد قابلتها بعد ذلك بأربعة أو خمسة أيام وسألتها عن حالها ، فأخبرتني بأن مشورتي فعلت في زوجها ما توقعت وباعتذارها له زرعت في قلبه حبا لا يضاهى واخلاصاً لا يوصف .

صناعة الغزل والنسيج

من مفزل بسيط عادي ونول يدوي منزلي ، تطور الغزل والنسيج إلى صناعة آليّة ضخمة ، تنتج كمية لا حصر لها من المنتجات الضرورية لحياتنا اليومية .



والماء والغذاء مقومات ثلاثة هي عماد الحياة . غير أن الجنس البشري يحتاج بالإضافة إليها إلى عامل رابع مهم ، وإن كان أقل أهمية منها ، ألا وهو الثياب .

فالثياب ترافق الإنسان منذ ساعة مولده حتى الساعة التي يفارق فيها الحياة . وخلال فترة انتقاله من المهد إلى اللحد . يستهلك أنواعا كثيرة من الثياب . . فهناك الثياب التي يلبسها في الأعياد وفي الاحتفالات الخاصة وفي ممارسته مختلف الأعمال ، وهناك الثياب الخاصة بفترات الصباح وبعد الظهر والمساء ، والخاصة بالقرية والمدينة والألعاب الرياضية والحفلات الشعبية . وجميع هذه الثياب تختلف في أشكالها وأنماطها باختلاف المناسبة المعدة لها . فلا عجب إذا ، أن تمثل الثياب أكبر جزء من صناعة النسيج في العالم ، ولكن صناعة الثياب مهما اتسعت وتضخمّت تظل تعتبر جزءا من صناعة النسيج العامة . إذ أن هذه الصناعة تشمل قائمة لا تحصى من المنتجات الأخرى كالستائر ، والشراشف ، وأغطية الطاولات والخيام والمشمعات ، والفرش والسجاد وخلاف ذلك .

نسيج القطن

إن استخدام النبات ووبر الحيوانات للغزل والنسيج أقدم من التاريخ . فالقطن والحرير والكتان والصوف ، والمنسوجات المتعددة الأشكال والألوان منها . تبين ولا شك مدى الشهرة التي تمتعت بها صناعة الغزل والنسيج منذ الأيام الأولى حتى القرن التاسع عشر .

فالأنسجة القطنية ونقاب لوزات القطن التي عثر عليها في «وادي تيهوكان» بالمكسيك بينت بعد فحصها «بالكربون - ١٤» أنها تعود إلى ٧٠٠٠ سنة خلت . كذلك بينت أن نسيج القطن كان معروفا منذ ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد في المنطقة التي تعرف اليوم باسم باكستان . وقد أثبت ذلك ، العثور على أنسجة وخيوط قطنية في حفریات وادي هندوس في «ماهنجو دارو» . كذلك عثر على أنسجة قطنية يعود تاريخها إلى ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد ، في مدن «برينكا پيرو» المطمورة .

أما الأنسجة الحريرية الرقيقة المصنوعة من الحرير الطبيعي الذي تنتجه دودة القز . فتكاد



صنع الثياب ، يعتبر من أقدم الأعمال التي عرفها الانسان ، ولكن عمليتي الغزل والنسيج المجهدين استغرقتا وقتا طويلا قبل أن تتحولا الى صناعة آلية من أكبر الصناعات العالمية .



يكثّر الطلب في الأسواق على الأقمشة الصوفية التي تقي الانسان برودة الشتاء ، والتي تعتبر الأغنام أكبر مصدر لخاماتها .

تكون قديمة قدم صناعة القطن . فقد حازت الأقمشة المنسوجة من هذه الخيوط اللماعة على إعجاب النبلاء والأثرياء في العالم أجمع منذ أقدم العصور . ولما كانت الصين ، منذ البداية ، تستأثر بهذه الصناعة ، كان لا بد من وصول الأقمشة الحريرية من الشرق إلى الغرب ، فنشأت نتيجة لذلك الطريق المعروفة باسم «طريق الحرير» وهي الطريق التي تمتد من «شنجان» مركز صناعة الحرير في الصين عبر الصحاري الواسعة والجبال الشاهقة . إلى الشواطئ الشرقية من البحر الأبيض المتوسط . وقد كانت هذه الطريق ، الطريق التجارية الوحيدة ، بل رابطة الاتصال الثقافي الوحيدة بين الشرق والغرب منذ مسدة طويلة قبل الميلاد حتى القرن السادس عشر الميلادي حيث تم اكتشاف الطرق البحرية . كذلك تم العثور على أقمشة صوفية وكتانية في مقابر مصر ونيونى وبابل ، وفي أكواخ سكان البحيرة وقبورهم في بريطانيا فيما قبل العهد الروماني .

في كل بقعة مسكونة من الكرة الأرضية ، تجد أن الصوف والقطن ، وعلى نطاق أضيق الكتان والحرير ، هي الخامات الوحيدة المستخدمة في صناعة الأقمشة منذ العصر القديم حتى العصر الحديث حيث تم اكتشاف الخامات الصناعية الجديدة . وكان الغزل والنسيج ، عبر الأجيال ، من الواجبات المنزلية الأساسية ، وكان المغزل شعار المرأة ومدعاة فخرها بين رفيقاتها في كل مكان . أما أنوال الحياكة فكانت بسيطة التصميم وتصنع باليد من الخشب .

بيد أن معظم الاختراعات التي حولت الغزل والنسيج من عمل مترلي بسيط إلى صناعة حيوية قائمة بذاتها ، قد تمت في انكلترا خلال القرن الثامن عشر . فالمكوك المتحرك الذي اخترعه «جون كاي» ، ودولاب الغزل الذي صنعه «جايكس هاركريفز» ، وطريقة الغزل الرحوية التي توصل اليها «آرك رايت» ، والمغزل الآلي الذي ابتدعه «كرومبتون» ، والنول الآلي الذي صنعه أخيرا «كارت رايت» كل هذه الاختراعات كانت السبب في تطور عمليتي الغزل والنسيج وتحولهما إلى صناعة حية .

وأول من استطاع انتاج الحرير الاصطناعي بكميات تجارية هو «كاردونييت الفرنسي»

الأوكسجين والنيتروجين والكربون والهيدروجين . وتستحصل مصانع الأقمشة على المادتين الأخيرتين من الغازات البترولية التي تنتجها معامل التكرير . هذه التطورات كانت حافزا على ازدهار الصناعة البتروكيمياوية ، التي تنتج بالإضافة إلى الأقمشة الصناعية عددا ضخما من المنتجات الأخرى تتدرج من مواد الصيدلة واللدائن حتى تصل إلى المنظفات والمطاط الصناعي . إن معظم معامل التكرير الحديثة تأخذ بعين الاعتبار أمر الاستفادة من البتروكيمياويات ، فهي بالإضافة إلى إنتاج الوقود وزيت التشحيم ، تنتج أنواعا مختلفة من الخامات البتروكيمياوية ، وترسلها رأسا عبر الأنابيب إلى المعامل المختصة .

إن مزج الألياف البتروكيمياوية مع القطن والصوف والكتان بنسب معينة مناسبة يكسب الأقمشة التي تصنع منها ، جودة وجمالا . فالأقمشة الكتانية تصبح أكثر نعومة ، والأقمشة القطنية تسمى بغير حاجة إلى الكي ، والأقمشة الصوفية التي يدخلها «الدكرون» ، تظل مكوية مدة أطول من المدة التي تظلها الأقمشة المصنوعة من الصوف الخالص .

ازدياد هائل في الطلب ..

هنالك حوالي ٣ بلايين شخص يرتدون الثياب في العالم ، ويتوقع أن يتضاعف هذا العدد في نهاية القرن الحالي ، كما أن اقبال العالم على الرياضة والنشاطات الاجتماعية الأخرى قد عمل على ازدياد الطلب على الأقمشة والألبسة بعد أن أصبح لكل من هذه النشاطات لباس خاص .

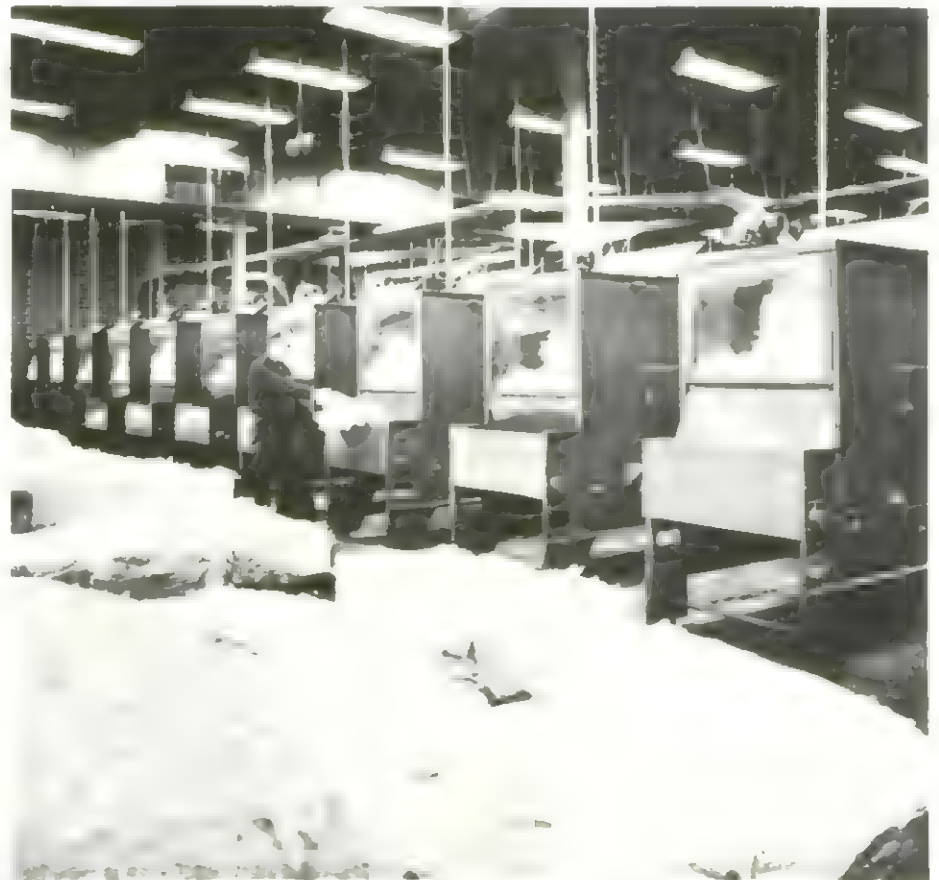
وتمشيا مع الازدياد في الطلب على الأقمشة ، بعد مضي مدة من القصور والجمود ، نجد أن معظم مصانع الغزل والنسيج أصبحت ذات طاقات انتاجية مدهشة . فأنوال الحياكة أصبحت أوسع وأسرع ، ووشيعه الحياكة أصبحت مزدوجة وأكثر سرعة خلال السنوات الخمس الأخيرة . كذلك المعامل نفسها أصبحت أكثر شمولا ، وآلاتها أكثر ضخامة . وعلاوة على ذلك ، أصبحت تستعمل الآلات الحاسبة في احصاء الانتاج ، وفي اجراء الجرد على البضائع ، حتى وفي مراقبة مزج الأصباغ .

اليها مدة احدى عشرة سنة من البحث والدراسة المتواصلة صرف أثناءها مبلغ ٢٧ مليون دولار . أما اليوم فقد أصبحت معامل الأقمشة تنتج أكثر من ألف نوع من «النيلون» . وقد أدخل «النيلون» في صناعة مختلف أنواع الملابس ، من الأقمشة النسائية الرقيقة ، إلى الأقمشة السمكة كالقلوع والخيام . وبما أن النيلون هو نوع من اللدائن لذلك أمكن استخدامه في صنع الفراشي والأمشاط حتى وفي صنع قطع معينة للسيارات . والنيلون مادة قاسية لا تنكمش ، سريعة الجفاف ، عديمة التعفن . متينة بحيث أن الخيطان المصنوعة منها آمنة من خيطان الحديد الصلب ذات الوزن نفسه .

أقمشة من غازات البترول !

وفي مستهل العقد الخامس من القرن الحالي ، توصلت الأبحاث المستمرة إلى صنع «الدكرون» و «الأورلون» ، التي هي والنيلون مركبات من

وذلك في عام ١٨٨٩ م ، وقد استخرج ألياف الحرير من لب الخشب وبزر القطن . ثم ما لبثت أن تطورت صناعة الحرير الاصطناعي على مر السنين وظهرت نتيجة لذلك أنواع جديدة من الحرير أكثر رونقا وجاذبية ، مثل «حرير فيسكوس» . ثم ظهرت بعدئذ أنواع جديدة من الحرير الاصطناعي ، من خامات مغايرة للخامات الأولى . هذا الحرير هو «حرير الاستيك» الذي تم صنعه من السيلولوز ، والذي حاز على شهرة واسعة في الأسواق ، واستحوذ على اعجاب الناس في كل مكان . ولكن على الرغم من جميع التطورات المتوالية التي أدخلت على الحرير الاصطناعي في الربع القرن المنصرم . ظلت خامات الحرير الاصطناعي تشكل فقط نصف ما ينتجه العالم من الخامات الاصطناعية . فقد ظهر في الميدان خامات صناعية جديدة هي «النيلون» . . هذه الخامة المشتقة من البترول والتي أسرت أقمشتها ألباب العالم أجمع أكثر من أي أقمشة أخرى ، وقد استغرق أمر التوصل



استخدام القطن في صناعة الأقمشة معروف منذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة تقريبا .

بإذن خاص عن مجلة «اويل بروجريس»



على الرغم من تقدم الصناعة الآلية ، إلا أنه بقي للانشغال اليدوية الدقيقة قيمتها واعتبارها .

تصوير « ألن مولاش »

قصة قصيرة
أمنية لم تحقق

بفلم محمد احمد الزغاري



عزيمت فاطمة من المستشفى تحمل على يديها وليدا كالبدر تحف به القلوب ، وتدمع لمراه العيون . وما رآه أحد إلا سر به وحزن عليه ، وما كانت أمه وظروفها سببا في تعميق ذلك الحزن .

كان أكثرهم كلفا به واشفاقا عليه جده سعيد أبو فاطمة الذي كان كلما خلا بنفسه تذكر كلمات صهره أحمد (لن يبرز الهلال حتى يغيب القمر) ، فينلف يمينه ويسرة ليتحقق من غياب ذلك القمر ويسكب قطرات من الدموع الحارة الصامته ترجعها فاطمة إلى صراخ عال يتنهرها أبوها لذلك ويطلب منها الانصراف إلى ولدها «أيمن» والقيام على شئونه .

وهل تقول أيمن يا أبتاه ؟ أي يمن رأيناها على قدوسه ؟

كانت تود لو غيرت اسمه ، ولكن مانعا واحدا منعها من ذلك هو أن هذا الاسم كان قد اختاره أبوه من قبل أن يولد أيمن بل قبل أن تحمل به أمه بسنوات ، فهي بذلك تحفظ عهدا بينها وبين أحمد وتجدد ذكرى غالية يعز عليها تجديددها .

يذكر الناس أن أول مرة تردد هذا الاسم على لسان أحمد كان أمام أمه وهي على فراش المرض حين أظهرت تخوفا على مصيره ومصير أولاده من بعده قال لها مطمئنا : سيكون ابنك يا أماه من أغنى أغنياء هذه المدينة وولده أيمن الوارث الكبير من بعدي ان شاء الله .

ابتسمت له أمه حين سمعت قوله ولم تشك بكلمة من كلامه مع أنه لم يكن يملك يومها سوى بضعة دريهمات يسد بها رفق ورثق أمه العجوز ، وتوفيت أمه بعد ذلك ونسي الناس أو تناسوا أمره فهم في شغل عن أمثاله أو أنهم لم يجدوا فيه كلاما يقال ، فلم يستحسنوا عملا فيمدحوا أو يستهجنوا خلقا فيذموا وما الناس إلا بين ماذح وذام . ومن يدري فربما كان فيه ما يستوجب المدح ولكن لا لأمثاله من الفقراء والمعوزين .

وافق الناس بعد ذلك ليروا أحمد قد بدأ يحقق شيئا من آماله العريضة وفيه ببعض ما كان قد قطعه على نفسه أمام أمه فما هو متجر صغير يتبعه متجر آخر ، وأموال تتكاثر .

وأخيرا وبعد طول انتظار تحقق ما كان يأمله أحمد ، وتذوق أحمد السعادة كأحلى ما تمنّاها صافية من كل كدر خالصة من كل شائبة ولم يعرف أسعد من ذلك اليوم

الذي رجع فيه إلى البيت مساء وعرف أن زوجته حامل وفي شهرها الثاني ، بمولودها الأول . . والأخير .

وثلاثاء دمعة على خده . . دمعة الفرح لهذه البشرية التي تأخرت عن وقتها ثلاثين عاما وهو يتنظر الحدث السعيد .

ثلاثون عاما رآها أطول من عمر البشرية جميعها ذاق خلالها اللوعة والاهفة والظلم الروحي ، وكان أكثر ما يؤلمه أن يرى أبناء جيله وقد أصبح لكثير منهم أحفاد يملأون عليهم حياتهم ويبيعون السعادة في نفوسهم . فالطريق التي كان يسيرها منفردا إلى البيت لا يزال يسيرها ، وكان أكثر مناه أن يرافقه ابن يحدثه أو يستمع له ، أو أن يراه . وقد عاد إلى البيت من المدرسة بصحبة زملائه فيذاكرون ويدرسون . وإذا فرغوا من الدراسة خرجوا إلى ساحة المنزل يلعبون وهو يراقبهم عن كسب مسرورا بهم .

كلمات ذلك يدور في رأسه وهو راجع إلى البيت وحيدا كعادته ، فما أن يبدأ بالسير حتى تبدأ تلك الأوهام والتمنيات كأنه معها على موعد لا تخلفه . كم تمنى أن يرافقه ابن في طريقه تلك .

كم كان يشط به الخيال في أول أيام زواجه فيتخيل نفسه أبا وشخص من خياله طيف أيمن الصغير ، فيجاذبه الحديث وقد يستغفبه في عشاء تلك الليلة ويترك له الخيار ، وكانت زوجته تجاريه في تخيلاته . أفكار حلوة وتخيلات طريفة لم تلبث أن فترت لشعورهما بعدم جدواها وأصبحتا يذكران أيمن الحبيب المجهول مرة واحدة في اليوم ثم مرة أو مرتين في الأسبوع ثم أصابهما الكلال تماما فنيا أيمن وكأنه لم يكن .

لقد كان أحمد قويا طوال تلك المدة ، تغلب على يأسه ، وعلى أولئك الذين حاولوا أن يفسدوا بينه وبين زوجه متهمين إياها بالعقم ، ولكنه كان ضعيفا أمام الأيام التي عضته بنابها فأفقدته القوة وأصابه القنور والهبوط في نشاطه وأقباله على الحياة واستمراته لطعمها . ووضع أحمد ، الذي بلغ الخمسين من عمره ، يده على جرس الباب ليطرقه وقبل أن يفتح له الباب ليبلغ منه ، امتدت إليه يد من الخلف وجذبتة بشدة فأدار برأسه ليرى زوجته . . قد عاجلها الموت .

هز كتفيه دون مبالاة وكأنها لم تمت بل ذهبت لترتب لها بيتا جديدا يجدان فيه ما لم يجدها من قبل ، أو أنها ذهبت لتجدد شبابها . وتذكر في تلك اللحظة قبل أعوام حين طلبت منه فستان

العيد فذهب إلى الخياط سمير وطلب منه أن يختار له أحسن الثياب وأزهى الألوان ، فأخذ القماش معه مسرورا بأنه وفق إلى حسن الاختيار ، وكم كانت دهشته شديدة حينما لم تعجب زوجته بتلك القطعة من القماش وأخبرته بأنها من أردا القماش لونا وصنفا . فترك لها بعد ذلك حرية اختيار ما تريده من ثياب . اذن لقد ذهبت لتجدد شبابها أما هو فسيجدد شبابه يوما ما ، وستعود إليه كما عرفها أول مرة فتية جميلة . وجلس ينظر إليها وهو لا يصدق أن هذا هو الفراق الأخير . واستقبل كلمات المغزين بعدم الاكتراث ساخرا من عقليتهم . فهي لم تمت انما لم تنه مهمتها في الحياة ، فلماذا تموت الآن . ولكن مثل هذه الأفكار لم تلبث أن زالت تماما كما يتبدد الضباب أمام شمس النهار أو يتشقق سربال الليل تحت وقع أسنة الفجر الساطعة .

فهم عامه الأول في هذه الأفكار المتأرجحة يقضي أيامه متحجر البصر شارد اللب كأنما ينظر إلى بعيد لا يراه غيره ، نعم إلى ما هو أبعد من الحياة ، إلى زوجته التي فارقت الحياة ، وإلى ولده الذي لم يلق لها طعما .

ولاحظ عليه أصدقاؤه ذلك فعز عليهم ما وصل إليه وتقدم إليه من كان أحمد يثق برأيهم وأشاروا عليه أن يعاود الكرة لعل أوضاعه تصلح بزواج جديد ، ورضخ لهم بعد تردد .

وقصة زواجه غريبة حقا إذ جاءه جاره سعيد يوما فأطال الكلام معبرا عن عظم المفاجعة وعرض عليه الزواج بفاطمة كبرى بناته . فهي ليست صغيرة إذ نيفت على العشرين من عمرها . كان أحمد كثيرا ما جلس يداعبها وهي لم تتخط الخامسة من عمرها ، وكم كان يعجب بشقاوتها وخضة دمها ، وكم تمنّاها عروسا لأيمن . أما أن تكون عروسا له فلم يخطر له ببال ، وساءل نفسه متى تحقق ما خطر لي ببال ؟ أخطر لي أن أقضي العمر كشجرة حمقاء لا تثمر ؟ أم خطر لي أن أصاب بشكل الزوج ؟ أستغفر الله ، لا اعتراض على حكمه .

كان كلما دخل بيت جاره سعيد وافقد فاطمة سأل عنها ، فتخرج له من تحت كرسي أو من وراء خزانة أو طاولة وتصرخ به ، فيضحك أحمد وكل من يكون معه . وكبرت الأعوام حولها أو كبرت هي بأعوامها فامتد قدها باسقا واكتزرت أنوثة وحيوية ومع ذلك ما زال أحمد يراها كما كان يراها سابقا . وحينما عرض سعيد فكرة زواج

أحمد بفاطمة على زوجته استحسنها وذلك طمعا في إرث أحمد . فأجبت لابنتها ذلك الزوج ، وقبلت ابنتها ذلك التدبير .

وسارت مراسيم الزواج سريعة إذ كان أحمد قد مل تلك الوحدة القاتلة . ورأى أن الدنيا قد ابتسمت له فانبطحت أسارير وجهه وارتسمت على محياه اماره الرضا وعلامة الاستبشار

لقد تحقق حلمه . ومرت الأيام وضاعة مشرقة وأصبح كل شيء في نظره قد تجدد ، ونسي أنه قد تجاوز الخمسين سنوات . وصار يحس بالنشوة نفسها التي أحس بها وهو ابن عشرين في زواجه الأول . فكان يسير وهو يضرب الأرض بقدميه كأنه يتحدى الأيام حتى كان ذات مساء إذ عاد إلى البيت فوجد زوجته طريحة الفراش تشكو بعض الألم . وهنا هبط قلبه لأنه وجدها قد وقعت في المرض ذاته الذي داهم زوجته الأولى وأودى بحياتها . فأخذ يستجمع قواه واستدعى طبيبا في الحال . وما أن فرغ الطبيب من اجراء الكشوفات الطبية اللازمة ، حتى ابتسم له وربت على كتفيه قائلا : مبروك . . . ستصبح أبا بعد أشهر . ودهش لهذا الخبر ، وكاد يقول أنى لي ذلك . فعاجله الطبيب قائلا : انها في شهرها الثاني . فأجهش أحمد بالبكاء . وزف البشرى إلى أهلها وذويها الذين تابعوا واحدا تلو الآخر تفرهم الفرحه والسعادة .

عندها فقط شعرت فاطمة ببهجة الزواج . واستطاعت بحدث بسيط أن تدخل السرور الى قلب أسرتين ، وشعرت حينها بالزهو إذ رأت أباه وزوجها وأمها وأخوتها كلهم طوع أمرها . سعداء بها .

الأيام ثقيلة فيها اللفه واللع . وسارت وكم عرض أحمد زوجته على أطباء مشهورين . للتوصل إلى معرفة حالة الجنين . فكانوا جميعاً يطمئنه ويعوده خيراً . وزحفت به الأيام زحفا حتى دخلت فاطمة في شهرها الخامس وعليه أن يصبر أربعة أشهر أخرى . ونام أحمد في تلك الليلة مع الفجر مخلقا أفكاره وصاوسه تحوم حول سادته وربما استأنفها في أحلامه ورواه . وتسير الأيام بعد ذلك بطيئة حتى كان ينتزعها انتزاعا من مخالب القدر أو كأن عجلة الزمن بها بعض الخلل والاضطراب فتدور وتدور وهي ما زالت مكانها كسيارة تقطع فلاة من رمل . وتمنى لو كان له القدرة والقوة ليدفع عجلة الزمن أو يجرها وراءه ، ولكن الأيام ما زالت في مكانها حائرة منه ساخرة

من أمانيه . ولو قدرت على الكلام لقاتل له خير لك أن تستبطيء الأيام من أن تتعجلها .

وكلما اقترب موعد الوضع كلما زاد عطفه وحنانه على فاطمة . وأصبحا يعدان العدة لاستقبال الصيف الجديد . وكان لا يريد أحدا من أصدقائه إلا أن يحدثه عن ابنه المنتظر ، والحديث السعيد . وكثيرا ما كان يرفع سماعة الهاتف ليتصل بأحد أصدقائه ويسأله رأيه في أمور تتعلق بمستقبل أيمن .

أما فاطمة فقد كانت قاترة الشعور أو طفلة الأحاسيس طوال أيام حملها . الحمل جميل جدا . ليس هو الذي جعلها صاحبة الخدم والحشم ومنحها كل هذا العطف والحنان ؟ أليست ستضع غلاما جميلا تصبح له أما ؟ لقد كبرت في عين نفسها ، انها أصبحت كبيرة جدا كأنها .

ثم يلفع كل هذه التخيالات أحاسيس مرة لا تعرف مصدرها ولا تغل سببها . فتسأل جاراتها والخدم اللواتي لم يكن يفارقنها لحظة واحدة قائلة : هل تتألم المرأة حين الوضع ؟ فتجيبها احداهن : أبدا يا سيدتي . وتعود فاطمة وتسأل بكل سذاجة : أيهما أصعب خلع الضرس أم الوضع ؟ فأنا قد خلعت صرسي عند طبيب أسنان وقد خشي زوجي أن يصاب الجنين بأذى . فرفض أن أخلعه إلا بعد أن تأكد أن هذا لن يضر الجنين شيئا

كانت دهشة سعيد شديدة حينما جاءه أحمد يطلب منه ومن زوجته التوجه معه إلى المستشفى ليأخذوا فاطمة التي كانت تشعر بآلام قاسية . وكانوا كلهم يقطعون الشارع الطويل المؤدي إلى المستشفى تداعبهم أنسام الفجر الباردة حتى وقفت بهم السيارة أمام باب المستشفى ، واتخذت الاجراءات السريعة وأعطيت فاطمة رقما ليكون هذا رقم طفلها بعد أن يرى النور . ووقف أحمد طويلا أمام غرفة فاطمة متأملا . . . وجذبه سعيد من يده ليذهب الى البيت يحضران ما يلزم فاطمة وطفلها من طعام ولباس ، وترك أحمد في المستشفى قلبه ولففته وآمال الأعوام السابقة . وما أن هبط أحمد الدور الثاني حتى شعر بثقل في رأسه وتراخ في قلميه . فأعاده سعيد الى الطبيب بمساعدة أحد الممرضين ففتين أن معه اجهدا قويا في القلب وضغطا في الشرايين الدموية ، اضطراه إلى دخول المستشفى للعلاج السريع . فأعطى رقما مائلا لرقم فاطمة .

وفي غرفتين متجاورتين كان ينام أحمد وزوجته ، هذه تعاني آلام المخاض المبرحة وذاك في شبه غيبوبة لا يكاد يعي شيئا مما هو

فيه . وكان آخر ما قاله لصهره أن ساعته قد دنت . وأنه لا يأسف على شيء إلا أن يطول به العمر ولو لحظات حتى يتمكن من نفع غليله واطفاء ظمئه . وأوصى سعيدا بأن يكون الأب والجد للمولود . «أما فاطمة فما كان يجدر بي أن أذيقها ثكل الزوج في مثل هذه السن ، كلانا أخطأ في حقها ، إنني كعاصفة الخريف الهوجا تدق برعما في ورقه ، وأنت وضعتها في قفصها الذهبي وحكمت عليها أن تبقى فيه . كلانا أخطأ ، كلانا أخطأ . . . »

وهنا أجهش أحمد ببكاء لم يتمالك معه سعيد نفسه ، ولكنه كفكف قطرات من الدموع كانت قد انحدرت على خديه وقال له : لا تقل هذا يا أحمد إنك بألف خير إن شاء الله وستعيش طويلا حتى يصل أيمن سن الشباب . انها مجرد وعكة لا تلبث أن تزول وتترد قواك لتنعم بزوجك ولدك وينعما هما بك . انك بخير ، انك بخير . . .

هيها يا سعيد . فقد آن الأوان ولن ييزغ افلال حتى يغيب القمر . لقد آن للهِلال أن ييزغ وللقمر أن يغيب .

سكت أحمد طويلا ولم يتكلم بعدها ، لقد عاوده الاجهاد ثانية فخرج سعيد من عنده يتنقل بين الغرفتين المتجاورتين لا يدخل احدهما وانما يراقب عن كتب المنظرين المؤمنين . ابنته تتلوى من شدة الألم وصهره كذلك ، وهو بينهما حائر يرجو لو استطاع أن يمسكهما بكنتي يديه فيجمعهما في صعيد واحد في منتصف الطريق ولو الى لحظات ليتم لهما ذلك اللقاء الذي تمناه احمد طويلا ، واستجار بالأطباء أن يعملوا شيئا عملهما يلتقيان ، ولكن هيها فقد انطلقت الحياة مغادرة أحمد كحصان جامح نفر من فارسه بعد أن قطع بحافريه الزمام . وطار لا يلوي على شيء ، أو كقطار سريع يغادر المحطة قبل أن يصلها القطار الآخر ، إذ أن لقد تحقق كلام أحمد فهو في الأفق بقية قمر ليزغ منه هلال جديد ساطع النور .

وترك سعيد تلك الغرفة الباردة التي خيم عليها شبح الموت ، واقترب من الغرفة المجاورة غرفة الحياة وسمع صوت صراخ حاد . نعم إنه أيمن الذي تأخر عن أوامره . وحفف ما كان على عينيه من دموع ، ودخل ليلثم حفيده وليقول له لقد كان لك قبل لحظات أب تاق لرويتك طويلا ، ولكنه فارق الحياة قبل أن ترى النور . مات بظما صاد ، وغلة لم تنفع .

الحركة الأدبية في العالم العربي

• صدرت للعلامة العربي الدكتور فؤاد صروف موسوعة جديدة في العلوم الحديثة عنوانها «العلم الحديث في المجتمع الحديث» تعالج التطورات التي انتهت إليها العلوم في هذا القرن وأثرها على البشر. كما عني المؤلف بتسجيل مظاهر الحركة العلمية في العالم العربي في السنوات المائة الأخيرة وردّها إلى أصولها في تاريخ العرب العلمي، فربط الماضي بالحاضر وأبان مآثر العرب في علوم الطب والرياضيات والفلك والفيزياء وما إليها. والكتاب يقع في أكثر من ٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير.

• أحدث ما صدر للباحث الأديب الشاعر محمد عبد الغني حسن كتاب «دراسات في الأدب العربي والتاريخ» وكله فصول تناثرت موضوعاتها وتباينت أغراضها ما بين شؤون لغوية، وطرائف شعرية، وصور تاريخية، ولكنها اتسمت جميعا بسمة البحث الأصيل والاستيعاب الواسع.

• صدرت للباحث المكيّن الدكتور محمد أحمد الحوفي طبعة جديدة موسّعة من كتابه «الفكاهة في الأدب - أصولها وأنواعها» رصد فيه ألوان الفكاهة في الأدب وفي الحياة الاجتماعية منظرًا إلى رأي علم النفس في الفكاهة، مصنّفًا مصادر الفكاهة كالدعابة والحذلقه واللعب بالألفاظ والمعاني، ساردا طائفة غير قليلة من مفاكهات الأدباء والشعراء في القديم والحديث. والكتاب على طرافة موضوعه بحث علمي رزين.

• أخرج الأديب الدكتور محمد صبحي أبو غنيم كتابا جديدا عنوانه «من الأيام» تضمن فرائد من مباحثه في ميادين الأدب والعلم ولا سيما الطب، واشتمل على زبدة تجاربه في الحياة ومطالعته في أبواب المعرفة المختلفة. وللكتاب مقدمتان، إحداهما للشاعر الأستاذ شفيق جبري والأخرى للأديب الصحفي الأستاذ نصوح بابيل.

• عن «الجاحظ» صدرت ترجمة جديدة وضعها الدكتور أحمد كمال زكي، فأضيفت إلى تراجم

أخرى لهذا الأديب الكبير، أعدها الأستاذ مارون عبود وشفيق جبري والدكتور محمد أحمد الحوفي والدكتور طه الحاجري والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي.

• من الكتب الحديثة في السير والتراجم ظهرت هذه الطائفة «يوسف عليه السلام» للأستاذ عبد الحميد كحيل داود، و«حفيدة الرسول - نقحات من سيرة السيدة زينب» وهو طبعة جديدة للأستاذ أحمد الشرباصي، و«عز الدين بن عبد السلام» للأستاذ محمد حسن عبد الله، و«تعيم بن المعز شاعر الفاطميين» للدكتور حفني شرف، و«عباس علام الكاتب المسرحي» للأستاذ صلاح الدين كامل، و«ابن بطوطة» للأستاذ فؤاد بدوي. هذا وتصدر للأديب المؤرخ الأستاذ محمود الشراوي قريبا دراسة مطولة عن ابن بطوطة ورحلاته صوب فيها كثيرا من الأخطاء الجغرافية والتاريخية التي تورط فيها هذا الرحالة.

• في الأدب الروائي ظهرت طبعة جديدة من قصة «ليلي العفيفة» للأستاذ عادل الغضبان، كما صدرت مسرحيتان مترجمتان هما «تاسو» لجوته وترجمها الدكتور عبد الغفار مكاي، و«عندما تعمى البصيرة» هنري دي مونترلان وترجمته الأستاذ وحيد النقاش.

• ظهرت مؤخرًا للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي دراستان أدبيتان جديدتان هما «الأدب العربية في العصر العباسي الأول» و«الحياة الأدبية في العصر الأموي».

• ومن بين الدراسات الأدبية الأخرى التي ظهرت حديثا «العلم والشعر» لريتشاردز وترجمته الدكتور مصطفى بدوي ومراجعة الدكتور سهر القلماوي، و«الأدب اليوناني القديم» تأليف باورا وترجمته الأستاذين محمد علي زيد وأحمد سلامة محمد، ومراجعة المرحوم الدكتور محمد صقر خفاجة، و«الدراما الألمانية الحديثة» لجارتن وترجمته الأستاذ وجيه سمعان ومراجعة المرحوم الدكتور محمد مندور.

• صدرت مؤخرًا طائفة من الكتب العلمية منها «المرجع الكبير في تدريس مبادئ العلوم»

لمجموعة من المؤلفين، وقد ترجمه الدكتوران الدمرداش عبد المجيد سرحان ومحمد صابر سليم وراجعه الدكتور يوسف صلاح الدين قطب، و«طبيعة القانون العلمي» للأستاذ محمد فرحات عمر، و«علم الحركة والتدريب الرياضي» للأستاذ إبراهيم سلامة، و«شخصيتك في الميزان» للدكتور عبد الكريم دهينة، و«الكيمياء في خدمة الإنسان» لألكسندر فندلاي وترجمته الأستاذ زكريا فهمي ومراجعة الدكتور عبد الفتاح اسماعيل، و«عندما اختفت الأرقام» لليونارد سيمون وجين بنديك وترجمته الأدبية عفاف فؤاد ومراجعة الدكتور محمد قدري لطفلي، و«الارصاد الجوية أرواد البحار» لبرجس وترجمته الأستاذ ميشيل زكي رزق الله ومراجعة الدكتور محمد جمال الدين الفندي.

• في الطب والصحة صدرت مجموعة من الكتب منها «الطب العربي» لأدورد براون وترجمته الأستاذ أحمد شوقي حسن ومراجعة الدكتور محمد عبد الحليم العقبي، و«أمراض الشتاء» للدكتور أنيس فهمي، و«الطعام صحة وعلاج» للأستاذ إبراهيم البرديسي، و«صحتك في فمك وأسنانك» للدكتور مدحت فريد.

• المرابي الجليل الأستاذ محمد عطية الابراشي وضع كتابا نفيسا عنوانه «أصول التربية المثالية في اميل» تناول فيه بالمناقشة والتحليل والشرح النظريات التربوية الواردة في كتاب «اميل» لجان جاك روسو.

• ومن الكتب التربوية التي صدرت أخيرا أيضا «كيف تعامل أبناءك» لولتر واديت تيسر وترجمته الدكتور عطية محمود هنا ومراجعة الأستاذ محمد كامل النحاس، و«مشاكل الأطفال والآباء» لسوزان أيزاكس وترجمته السيدة سعاد فريد ومراجعة الدكتور أبو الفتوح رضوان، و«التربوية المقارنة» لنيقولا هانز وترجمته الأستاذ يوسف ميخائيل أسعد ومراجعة الدكتور رضوان أيضا.

• أعد الأديب العراقي الأستاذ مهدي العبيدي للنشر كتابا عن الأدباء المعاصرين اختار له عنوان «قمم وصفوح».

الصفحة الخامسة

وصف طبي

الطبيب : اذا كنت تريد حقا انقاص وزنك ، فعليك أن تقتصر في طعامك على تناول الفاكهة والخضراوات .
المريض : حسنا .. ولكن قبل الأكل أو بعده ؟!

الاصرف غاية البساطة

المغفل لصديقه : انني في حيرة من أمري .. لقد أضعت عنوان صديقي ولا أدري ماذا أفعل ..
الصديق : أمر في غاية البساطة .. أكتب اليه رسالة واطلب منه العنوان .

موضة .. أسرع من الصوت

اشترى رجل لزوجته فستانا ثميناً . وفي طريق عودتهما الى البيت طلبت اليه أن يسرع . فقال لها : ما الداعي الى كل ذلك ؟ قالت : أخشى أن تنتهي موضة الفستان قبل أن ألبسه .

اعطه بقرش زيتونا



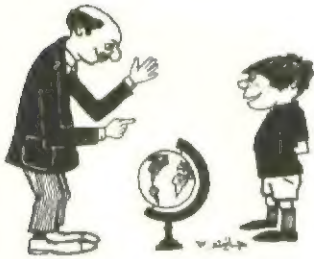
الزبون : هل لديك جبن ؟
البقال : نعم ..
الزبون : بكم تباع الكيلو غرام الواحد ؟
البقال : بخمسة ريالاً .
الزبون : طيب .. أعطني زيتونا بقرش .

وفي اليوم التالي عاد الزبون الى البقالة فقال :
الزبون : هل لديك جبن ؟
البقال : (مشيراً الى أحد عماله) : أعطه بقرش زيتونا .

عاملون نسيطان

المزارع الأول : لدي عامل يستطيع أن يقلد الأفبى لدرجة أن جميع الطيور الموجودة في الحقل تختفي منه ..
المزارع الثاني : ولدي عامل يستطيع أن يقلد الأرنب لدرجة أن الخس المزروع في الحقل يختفي .

صحيح .. لندن



الطفل : أنا أعرف اسم عاصمة إنجلترا
الوالد : أصحيح ؟
الطفل : لا .. انه لندن .

هكذا يظن ..

الأحمق : لقد استغفلت قاطع التذاكر في السكة الحديد يوم أمس .
الزميل (مقاطعا) : وماذا فعلت ؟
الأحمق : قطعت تذكرة ذهاباً وإياباً .. لكنني ذهبت ولم أرجع ..

لماذا لا ؟

الأول : حقا .. ان الرجل الذي مات بالأمس كان طيباً للغاية .
الثاني : كيف عرفت ؟
الأول : لقد أحال كل ما يمتلكه الى الجمعيات الخيرية .
الثاني : وماذا ترك وراءه ؟
الأول : أولاده الأربعة وأمههم ..



أتريدني أن أدهس هذا الفأر المسكين !!



تاجر القبعات : من ميزات هذه القبعة أنك
لا تحتاج الى نظارات شمس .



بدون تعليق .



دوش مجاناً .

